

شرح حقیقت ابن عثیمین زید القیر والذی

تألیف

فضیلہ الشیخ العلامہ

احمد بن حمی النجاشی



شرح

عقيدة ابن أبي زيد القيروانى

جميع حقوق الطبع محفوظة

- «دار المنهج»

الطبعة الثانية

١٤٣٥ - ٢٠٠٩ م



رقم الإيداع: ١٤٨٢٦ / ٢٠٠٩ م



٨١ شارع الهدي الحمدي - من أحد عربى - مساكن عين شمس - القاهرة

جوال : ٠٠٢/٠١٨٨٨٨٤٠٧٨ - ٠٠٢/٠١٨٨٨٨٤٠٨١

٠٠٢/٠١٢٤٠٧٣٩٧٤ - ٠٠٢/٠١٨٨٨٨٤١١٣

E-Mail : daralmenhaj@hotmail.com / daralminhaj@yahoo.com

شرح

عقيدة ابن أبي زيد القير沃اني

تأليف
فضيله الشیخ العلامه
أحمد بن حمی البجی



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ترجمة مختصرة لابن أبي زيد القيرواني

* اسمه ونسبة وكنيته:

قال الذهبي: «هو الإمام العلامة الفقيه القدوة عالم أهل المغرب، أبو محمد عبد الله بن (أبي زيد) عبد الرحمن النفزي القيرواني المالكي».

* مولده:

ولد بالقيروان سنة ٣١٠ هـ.

* نشأته:

نشأ منذ صغره على طلب العلم، وحاز رياضة الدنيا والدين، كما قال القاضي عياض، ورحل إليه من الأقطار، ونجب أصحابه، وكثُرَ الآخذون عنه، وهو الذي لخص المذهب المالكي، وملأَ البلاد من تواليفه حتى إنَّه كان يُعد مالكًا الصغير.

* عقيدته:

قال الذهبي: «كان رحمة الله على طريقة السلف في الأصول لا يدرى الكلام ولا يتأول، فنسأل الله التوفيق».

* شيوخه:

تتلذد على جمٌّ غفير من العلماء والفقهاء، ونذكر بعضًا ممن أخذ عنه، أو سمع منهم على سبيل المثال لا على سبيل الحصر، فقد أخذ عن:

- محمد بن مسرور الحجام.
- محمد بن الفتح.
- الحسن بن نصر البسوسي.

وخلق كثير.

* تلاميذه:

لا شك أن من تخرج على الجمٌّ الغفير من العلماء، وكانت لديه العقلية المفتوحة أن يتخرج على يديه الكُمُّ الهائل من العلماء وطلبة العلم، فممن حظوا بشرف الدراسة على يديه:

- الفقيه عبد الرحيم بن العجوز.
- عبد الله بن غالب السبتي.
- عبد الله بن الوليد بن سعد الأنصاري.
- أبو بكر أحمد بن عبد الرحمن الخولاني.

وخلق كثير.

* تصانيفه:

ملا رَحْمَةُ اللَّهِ **البلاد** من تواليفه فقد صنف:

- كتاب النوادر والزيادات في نحو المائة جزء.
- واختصر المدونة، وعلى هذين الكتابين المعول في التفقه بالمغرب.

- كتاب الاقتداء بمذهب مالك.

- كتاب إعجاز القرآن.

- رسالته في الرد على القدرية.

- مقدمة رسالته في التوحيد التي هي ضمن كتابه: الرسالة في فقه مذهب الإمام مالك رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَبَرَّهُ ، والتي تعتبر مقدمة في تصنيفه للفقه المالكي، وقد قام شيخنا - حفظه الله، ودفع عنه كل سوء ومكروره - بشرحها.

إلى غير ذلك من التواлиf العديدة، التي لا يمكن حصرها، وقيل: إنه وضع رسالته المشهورة، وله سبع عشرة سنة، وكان مع عظمته في العلم والعمل ذا بر وإيثار وإنفاق على الطلبة وإحسان.

* وفاته:

قال الجناب: «توفي رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَبَرَّهُ في النصف من شعبان سنة ٣٨٩هـ، ولما توفي رثاه بعض الشعراء».

* ترجمته:

انظر: سير أعلام النبلاء (١٠/١٧)، تذكرة الحفاظ (٣/٢١)، شذرات الذهب (٣/١٣١)، معجم المؤلفين (٦/٧٣)، الديجاج المذهب (ص ١٣٦-١٣٨).



نص مقدمة مؤلف الرسالة رَحْمَةُ اللَّهِ

قال أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القير沃اني - رضي الله عنه وأرضاه -:
 الحمد لله الذي ابتدأ الإنسان بنعمته، وصوره في الأرحام بحكمته، وأبرزه
 إلى رفقه وما يسره له من رزقه، وعلمه ما لم يكن يعلم، وكان فضل الله عليه
 عظيمًا، ونبهه بآثار صنعته، وأعذر إليه على ألسنة المرسلين الخيرة من خلقه
 فهدى من وفقه بفضله، وأفضل من خذله بعده، ويُسَرِّ المؤمنين لليسرى، وشرح
 صدورهم للذكرى، فآمنوا بالله بأسنته ناطقين، وبقلوبهم مخلصين، وبما أتتهم
 به رساله وكتبه عاملين، وتعلموا ما علمهم، ووقفوا عند ما حد لهم، واستغنووا بما
 أحل لهم عما حرم عليهم.

* أما بعد:

أعاننا الله وإياك على رعاية وداعه، وحفظ ما أودعنا من شرائعه، فإنك سألتني
 أن أكتب لك جملة مختصرة من واجب أمور الديانة مما تنطق به الألسنة، وتعتقد
 القلوب، وتعمله الجوارح، وما يتصل بالواجب من ذلك من السنن من مؤكدها
 ونواقلها ورغائبه، وشيء من الآداب منها، وجمل من أصول الفقه وفنونه على
 مذهب الإمام مالك بن أنس - رحمه الله تعالى - وطريقته، مع ما سهل سبيلاً ما أشكل
 من ذلك من تفسير الراسخين، وبيان المتفقين، لما رغبت فيه من تعليم ذلك
 للولدان كما تعلمهم حروف القرآن، ليسبق إلى قلوبهم من فهم دين الله وشرائعه

ما تُرجى لهم بركته وتحمد لهم عاقبته، فأجبتك إلى ذلك، لما رجوت لنفسك ولدك
من ثواب من علّم دين الله أو دعا إليه.

واعلم أن خير القلوب أوعاها للخير، وأرجى القلوب للخير ما لم يسبق
الشر إليه، وأولئك ماعني به الناصحون، ورغبة في أجره الراغبون إيصال الخير إلى
قلوب أولاد المؤمنين ليرسخ فيها، وتنبيههم على معالم الديانة، وحدود الشريعة؛
ليراضوا عليها، وما عليهم أن تعتقده من الدين قلوبهم، وتعمل به جوارحهم؛ فإنه
روي أن تعليم الصغار لكتاب الله يطفئ غضب الله، وأن تعليم الشيء في الصغر
كالنفخ في الحجر.

وقد مثلت لك من ذلك ما ينتفعون - إن شاء الله - بحفظه، ويسرون بعلمه،
ويسعدون باعتقاده والعمل به، وقد جاء أن يؤمروا بالصلاحة سبع سنين، ويضرموا
عليها عشر، ويفرق بينهم في المضاجع، فكذلك ينبغي أن يعلموا ما فرض الله
على العباد من قول وعمل قبل بلوغهم ليأتي عليهم البلوغ وقد تمكّن ذلك من
قلوبهم، وسكنت إليه أنفسهم، وأنسّت بما يعملون به من ذلك جوارحهم.

وقد فرض الله تعالى على القلب عملاً من الاعتقادات وعلى الجوارح
الظاهرة عملاً من الطاعات.

وسأفصل لك ما شرطت لك ذكره بباباً باباً ليقرب من فهم متعلميـه - إن شاء
الله تعالى -، وإياه نستخـير وبه نستعين، ولا حول ولا قـوة إلا بالله العلي العظيم،
وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وآلـه وصحبه وسلم تسليـماً كثـيراً.



باب: ما تنطق به الألسنة وتعتقده الأفئدة من واجب أمور الديانات

من ذلك: الإيمان بالقلب، والنطق باللسان أن الله إله واحد لا إله غيره، ولا شبيه له، ولا نظير له، ولا ولده، ولا والد له، ولا صاحبة له، ولا شريك له. ليس لأوليته ابتداء، ولا لآخريته انقضاء، ولا يبلغ كنه صفتة الواصفون، ولا يحيط بأمره المتفکرون، يعتبر المتفکرون بآياته، ولا يتذمرون في ماهية ذاته، ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء، وسع كرسيه السموات والأرض ولا يئوده حفظهما وهو العلي العظيم.

العالم الخير المدبر القدير السميع البصير العلي الكبير، وأنه فوق عرشه المجيد بذاته، وهو في كل مكان بعلمه.

خلق الإنسان، ويعلم ما توسوس به نفسه، وهو أقرب إليه من حبل الوريد، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها، ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين.

على العرش استوى، وعلى الملك احتوى، وله الأسماء الحسنى والصفات العليا، لم يزل بجميع صفاته وأسمائه متصفًا، تعالى أن تكون صفاتة مخلوقة، وأسماؤه محدثة.

كلم موسى بكلامه الذي هو صفة ذاته لا خلق من خلقه، وتجلى للجبل فصار دكًا من جلاله، وأن القرآن كلام الله، ليس بمخلوق فييدين، ولا صفة لمخلوق فيينفذ. والإيمان بالقدر خيره وشره، حلوه ومره، وكل ذلك قد قدره الله ربنا، ومقادير الأمور بيده، ومصدرها عن قضائها، عَلِمَ كل شيء قبل كونه فجرى على قدره،

لا يكون من عباده قول ولا عمل إلا وقد قضاه وسبق علمه به: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَيِّرُ﴾ [الملك: ١٤]. يصل من يشاء فيخذله بعدله، ويهدى من يشاء فيوفقه بفضله، فكل ميسر بتيسيره إلى ما سبق من علمه وقدره، من شقي أو سعيد.

تعالى الله أن يكون في ملكه ما لا يريد، أو يكون لأحد عنه غنىًّا، أو يكون أحد من خلقه خالقاً لشيء، وأنه ما ثمَّ خالق إلا هو رب العباد ورب أعمالهم، والمقدُّر لحركاتهم وأجالهم، الباعث الرسل إليهم لإقامة الحجة عليهم، ثم ختم الرسالة والندارة والنبوة بمحمد نبيه ﷺ فجعله آخر المرسلين بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

وأنزل عليه كتابه الحكيم، وشرح به دينه القويم، وهدى به الصراط المستقيم. وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من يموت كما بدأهم يعودون. وأن الله سبحانه ضاغف لعباده المؤمنين الحسنات، وصفح لهم بالتوبة عن كثائر السيئات، وغفر لهم الصغار باجتناب الكبائر، وجعل من لم يتوب من الكبائر صائراً إلى مشيئته: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشَرِّكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

ومن عاقبه بناره أخرجها منها بإيمانه فأدخله به جنته: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ حَيْرًا يَسِرُّهُ﴾ [الزلزلة: ٧]. ويخرج منها بشفاعة النبي ﷺ من شفع له من أهل الكبائر من أمتة.

وأن الله سبحانه قد خلق الجنة فأعدها دار خلود لأولئك، وأكرمهم فيها بالنظر إلى وجهه الكريم، وهي التي أهبط منها آدم نبيه وخليفته إلى أرضه بما سبق في سابق علمه، وخلق النار فأعدها دار خلود لمن كفر به وألحد في آياته وكتبه ورسله، وجعلهم محجوبين عن رؤيته.

شرح عقيدة ابن أبي زيد القير沃اني

وأن الله - تبارك وتعالى - يجيء يوم القيمة: ﴿وَالْمَلَكُ صَفَا صَفَا﴾ [الفجر: ٢٢]. لعرض الأمم وحسابها وعقوبتها وثوابها، وتوضع الموازين لوزن أعمال العباد: ﴿فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ٨]. ويؤتون صحائفهم بأعمالهم: فمن أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً، ومن أوتى كتابه وراء ظهره فأولئك يصلون سعيراً.

وأن الصراط حق يجوزه العباد بقدر أعمالهم، فناجون متفاوتون في سرعة النجاة عليه من نار جهنم، وقوم أوبقتهم فيها أعمالهم.
والإيمان بحضور رسول الله ﷺ تردد أمه، لا يظماً من شرب منه، ويزداد عنه من بدّل وغيره.

وأن الإيمان قول باللسان، وإخلاص بالقلب، وعمل بالجوارح، يزيد بزيادة الأعمال وينقص بنقصها، فيكون فيها النقص وبها الزيادة، ولا يكمل قول الإيمان إلا بالعمل.

ولا قول وعمل إلا بنيّة، ولا قول ولا عمل ونية إلا بموافقة السنة.

وأنه لا يكفر أحد بذنب من أهل القبلة.

وأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون، وأرواح أهل السعادة باقية ناعمة إلى يوم يبعثون، وأرواح أهل الشقاوة معدبة إلى يوم الدين.

وأن المؤمنين يفتون في قبورهم ويسألون: ﴿يُتَبَّتْ أَلَّهُ أَلَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الَّتَّأْتِي فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

وأن على العباد حفظة يكتبون أعمالهم، ولا يسقط شيء من ذلك عن علم ربهم، وأن ملك الموت يقبض الأرواح بإذن ربه.

وأن خير القرون: القرن الذين رأوا رسول الله ﷺ وأمنوا به، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، وأفضل الصحابة الخلفاء الراشدون المهديون أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي -رضي الله عنهم أجمعين-.

وألاً يذكر أحد من صحابة الرسول ﷺ إلا بأحسن ذكر، والإمساك عما شجر بينهم، وأنهم أحق الناس أن يُلتمس لهم أحسن المخارج، ويعظن بهم أحسن المذاهب.

والطاعة لأئمة المسلمين من ولادة أمورهم وعلمائهم، واتباع السلف الصالح واقتفاء آثارهم، والاستغفار لهم، وترك المراء والجدال في الدين، وترك كل ما أحدثه المحدثون.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأزواجه وذريته وسلم تسليماً كثيراً.



نظم مقدمة الرسالة

للشيخ أحمد بن مشرف الأحسائي المالكي
المتوفى سنة ١٢٨٥ هـ - نقلًاً من ديوانه (ص ١٧)

الْحَمْدُ لِلّهِ حَمْدًا لِيَسْ مَنْ حَصَرَ
عَلَىٰ أَيْدِيهِ مَا يَخْفِيٌ وَمَا ظَهَرَ
ثُمَّ الصَّلَاةُ وَتَسْلِيمُ الْمَهِيمِنَ مَا
هَبَّ الصَّبَّا فَأَدْرَى الْعَارِضَ الْمَطَرَّا
عَلَىٰ الَّذِي شَادَ بَنْيَانَ الْهُدَىٰ فَسَمَا
وَسَادَ كُلَّ الْوَرَىٰ فَخَرَّا وَمَا افْتَخَرَا
نَبِيِّنَا أَحْمَدَ الْهَادِيٰ وَعَتَرَتَهُ
وَصَحْبَهُ كُلُّ مَنْ آوَىٰ وَمَنْ نَصَرَا
وَبِعُدُّ الْعِلْمِ لَمْ يَظْفَرْ بِهِ أَحَدٌ
إِلَّا سَمَّا وَبِأَسْبَابِ الْعُلَاءِ ظَفَرَا
لَا سِيمَا أَصْلَ عِلْمَ الدِّينِ إِنْ بَهُ
سَعَادَةُ الْعَبْدِ وَالْمَنْجَىٰ إِذَا حَشَرَا

باب: ما تعتقدُه القلوب، وتنطق به الألسنُ
من واجب أمور الديانات

نَطَقُ اللِّسَانُ بِمَا فِي الذِّكْرِ قَدْ سُطِرَّا
وَأَوَّلُ الْفَرْضِ إِيمَانُ الْفَوَادِ كَذَا
فَلَا إِلَهَ سُوئِيٌّ مِنْ لِلأَنَامِ بِرَا
أَنَّ الْإِلَهَ إِلَهٌ وَاحِدٌ صَمَدٌ
رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَيْنِ لِيَسْ لَنَا
بِلَا شَرِيكٍ وَلَا عُونٍ وَلَا وُزْرًا
وَأَنَّهُ مُوْجَدٌ الْأَشْيَاءُ أَجْمَعُهَا
رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالْمُلْكَيْنِ
وَهُوَ الْمَنْزَهُ عَنِ الْوَلَدِ وَصَاحِبَةِ

ولا يُحيط به علمًا من افتَكَرَ
بدءٌ ولا مِنْتَهٰى سُبْحَانَ مِنْ قَدْرَا
فِرْدُسٌ سَمِيعٌ بَصِيرٌ مَا أَرَادَ جَرَأ
كُلَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَيْنِ إِذْ كَبَرَا
بِذَاتِهِ فَاسْأَلُ الْوَحِيْنَ وَالْفِطْرَا
عَنِ الرَّسُولِ فَتَابَعَ مَنْ رَأَى وَقَرَأ
الْعَرْشَ اسْتَوَى وَعَنِ التَّكْيِيفِ كَنْ حَذِرَا
يَخْفَاهُ شَيْءٌ سَمِيعٌ شَاهِدٌ وَيَرَى
كَذَاكَ أَسْمَاوَهُ الْحَسَنَى لِمَنْ ذَكَرَا
كَلَامُهُ غَيْرُ خَلْقٍ أَعْجَزُ الْبَشَرَا
وَلَمْ يَزُلْ مِنْ صَفَاتِ اللَّهِ مُعْتَبِرًا
بِالْخَطْبِ يَثْبِتُهُ فِي الصُّحْفِ مِنْ زِبَرَا
إِلَهُهُ فَوْقُ ذَاكَ الطُّورِ إِذْ حَضَرَا
مِنْ وَصْفِهِ كَلِمَاتٌ تَحْتَوِي عَبْرَا
قَالَ الْكَلِيمُ: إِلَهِي أَسْأَلُ النَّظَرَا
أَنِّي تَرَانِي وَنُورِي يَدْهُشُ الْبَصَرَا
إِذَا رَأَى بَعْضُ أَنْوَارِي فَسُوفَ تَرَى
تَصْدَعَ الطُّورُ مِنْ خُوفٍ وَمَا اصْطَبَرَا

لَا يَبْلُغُنَ كُنْهُ وَصْفَ اللَّهِ وَاصْفُهُ
وَأَنَّهُ أَوَّلُ بِاقٍ فَلَيْسَ لَهُ
حَيٌّ عَلِيمٌ قَدِيرٌ وَالْكَلَامُ لَهُ
وَأَنَّ كَرْسِيهِ وَالْعَرْشَ قَدْ وَسَعَا
وَلَمْ يَزُلْ فَوْقُ ذَاكَ الْعَرْشِ خَالِقُنا
إِنَّ الْعَلَوَّ بِهِ الْأَخْبَارُ قَدْ وَرَدَتْ
فَاللهُ حَقٌّ عَلَى الْمُلْكِ احْتَوَى وَعَلَى
وَاللهُ بِالْعِلْمِ فِي كُلِّ الْأَماَنَّ لَا
وَأَنَّ أَوْصَافَهُ لَيْسَ بِمَحْدُثَةٍ
وَأَنَّ تَنْزِيلَهُ الْقُرْآنُ أَجْمَعَهُ
وَحَيٌّ تَكَلَّمُ مَوْلَانَا الْقَدِيرُ بِهِ
يَتَلَى وَيُحَمِّلُ حَفْظًا فِي الصُّدُورِ كَمَا
وَأَنَّ مُوسَى كَلِيمُ اللَّهِ كَلَمَهُ
فَاللهُ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِ وَاسْطَةٍ
حَتَّى رَأَمْ أَنْ يَحْظَى بِرَؤْيَتِهِ فِي مَحْبَتِهِ
إِلَيْكَ قَالَ لَهُ الرَّحْمَنُ مَوْعِظَةٌ
فَانْظُرْ إِلَى الطُّورِ إِنْ يَثْبِتْ مَكَانَتِهِ
حَتَّى إِذَا مَا تَجَلَّى ذُو الْجَلَالُ لَهُ

فصل في الإيمان بالقدر خيره وشرّه

إِيمَانُنَا واجبٌ شرعاً كمَا ذكرَ
طراً وفِي لوحِه الْمَحْفُوظِ قد سُطِرَ
وَمِنْ ضلالٍ وَمِنْ شُكْرٍ مِنْ شُكْرًا
فَلَا تَكُنْ أَنْتَ مِمَّنْ يَنْكِرُ الْقَدْرَ
يَجْرِي عَلَيْهِمْ فَعْنَ أَمْرِ إِلَهٍ جَرَأَ
قَضَائِهِ كُلُّ شَيْءٍ فِي الْوَرْقِ صَدَرَ
وَمِنْ أَضَلَّ بَعْدَ الْعِدْلِ مِنْهُ قَدْ كَفَرَ
ما شاءَهُ اللَّهُ نَفْعًا كَانَ أَوْ ضَرَرًا

وَبِالْقَضَاءِ وَبِالْأَقْدَارِ أَجْمَعُهَا
فَكُلُّ شَيْءٍ قَضَاهُ اللَّهُ فِي أَزْلٍ
وَكُلُّ مَا كَانَ مِنْ هُمْ وَمِنْ فَرَحٍ
فِإِنَّهُ مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ قَدْرَهُ
وَاللَّهُ خَالقُ أَفْعَالِ الْعَبَادِ وَمَا
فِي يَدِيهِ مَقَادِيرُ الْأَمْوَارِ وَعَنْ
فَمِنْ هَذِئِ فِي مُحْضِ الْفَضْلِ وَفَقَهِ
فَلِيُسْ فِي مُلْكِهِ شَيْءٌ يَكُونُ سُوءِ

فصل في عذاب القبر وفتنته

مِنْ قَبْلِ إِكْمَالِهَا الرِّزْقُ الَّذِي قُدِرَ
بِإِذْنِ مَوْلَاهِ إِذْ تَسْتَكْمِلُ الْعُمُرَا
مِنْ حِينِ يُوضَعُ مَقْبُورًا لِيَخْتَبِرَا
جَنَّاتَ عِدْنَ كَثِيرٌ يَعْلُقُ الشَّجَرَا
فِي جَوْفِ طَيْرٍ حَسَانٌ تَعْجَبُ النَّظَرَا
مِنْ كُلِّ مَا تَشْتَهِي تَجْنِي بِهَا الشَّمَرَا
حَتَّى تَكُونَ مَعَ الْجَهَنَّمَ فِي سَقْرَا

وَلَمْ تَمُتْ قَطُّ مِنْ نَفْسٍ وَمَا قُتِلَتْ
وَكُلُّ رُوحٍ رَسُولُ الْمَوْتِ يَقْبِضُهَا
وَكُلُّ مَنْ مَاتَ مَسْؤُلٌ وَمَفْتَنٌ
وَأَنَّ أَرْوَاحَ أَصْحَابِ السَّعَادَةِ فِي
لَكِنَّمَا الشَّهَدا أَحْيَا وَأَنْفَسُهُمْ
وَأَنَّهَا فِي جَنَانِ الْخَلْدِ سَارِحةٌ
وَأَنَّ أَرْوَاحَ مَنْ يَشْقَى مَعْذَبَةٌ

فصل: في البعث بعد الموت والجزاء

في الصُّور حَقٌّ في حِيَا كُلُّ مِنْ قُبْرًا
سُبْحَانَ مِنْ أَنْشَأَ الْأَرْوَاحَ وَالصُّورًا
وَكُلُّ مَيْتٍ مِنَ الْأَمْوَاتِ قَدْ نَشَرًَا
يَقْتَصِّ مَظْلومُهُمْ مِمَّنْ لَهُ قَهْرًا
وَالشَّمْسُ دَانِيَّةُ وَالرَّشْحُ قَدْ كَثُرَا
لَهُمْ صَفَوْفٌ أَحَاطَتْ بِالْوَرَى زُمَرًا
خُرَّازَانِهَا فَأَهَالَتْ كُلَّ مَنْ نَظَرًَا
عَلَى الْعَصَاهَةِ وَتَرْمِي نَحْوَهُمْ شَرَرًا
أَعْمَالَهُمْ كُلُّ شَيْءٍ جَلَّ أَوْ صَغَرَا
فَهُوَ السَّعِيدُ الَّذِي بِالْفَوْزِ قَدْ ظَفَرَا
دَعَا ثُبُورًا وَلِلنَّيْرَانِ قَدْ حُشِرَا
بِالْخَيْرِ فَازَ وَإِنْ خَفَّتْ فَقَدْ خَسِرَا
يَكُونُ فِي الْحَسَنَاتِ الْضَّعْفُ قَدْ وَفَرَا
رَبِّي لِمَنْ شَا وَلِمَنْ الشَّرُكُ مُغْتَفِرَا
مُخْلِدٌ لِمَنْ يَخْشَى الْمَوْتَ وَالْكَبِرَا
يَخْشَى إِلَهٌ وَلِلنَّعْمَاءِ قَدْ شَكَرَا
كَمَا يَرَى النَّاسُ شَمْسَ الظَّهَرِ وَالْقَمَرَا

وَأَنْ نَفْخَةٌ إِسْرَافِيلَ ثَانِيَةٌ
كَمَا بَدَا خَلْقَهُمْ رَبِّي يَعِدُهُمْ
حَتَّى إِذَا مَا دَعَا لِلْجَمْعِ صَارَخُهُ
قَالَ إِلَهٌ: قَفُوهُمْ لِلسُّؤَالِ لَكِي
فَيُوقَفُونَ أَلْوَافًا مِنْ سَنَينِهِمْ
وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْأَمْلَاكُ قَاطِبَةٌ
وَجَيَءَ يَوْمَئِذٍ بِالنَّارِ تَسْجِبُهَا
لَهَا زَفِيرٌ شَدِيدٌ مِنْ تَغْيِيْظِهَا
وَيَرْسِلُ اللَّهُ صَحْفَ الْخَلْقَ حَاوِيَةً
فَمَنْ تَلَقَّتْهُ بِالْيَمْنَى صَحِيفَتُهُ
وَمَنْ يَكُنْ بِالْيَدِ الْيَسْرَى تَنَاوِلُهَا
وَوْزُنُ أَعْمَالِهِمْ حَقٌّ فَإِنْ ثَقَلَتْ
وَأَنَّ بِالْمِثْلِ تُجْزَى السَّيِّئَاتُ كَمَا
وَكُلُّ ذَنْبٍ سُوئِ الإِشْرَاكُ يَغْفِرُهُ
وَجَنَّةُ الْخُلُدِ لَا تَفْنِي وَسَاكِنُهَا
أَعْذَّهَا اللَّهُ دَارًا لِلْخَلْوَةِ وَلِمَنْ
وَيَنْظَرُونَ إِلَى وَجْهِ إِلَهٍ بِهَا

أعْدَّهَا اللَّهُ مَوْلَانَا لِمَنْ كَفَرَ أ
وَلَوْ بَسْفَكَ دَمَ الْمَعْصُومَ قَدْ فَجَرَ أ
خَيْرَ الْبَرِّيَّةِ مِنْ عَاصِيِّهَا سَجْرًا

كَذَلِكَ النَّارُ لَا تَفْنِي وَسَاكِنُهَا
وَلَا يَخْلُدُ فِيهَا مَنْ يَوْحِدُهُ
وَكَمْ يَنْجِي إِلَهِي بِالشَّفاعةِ مِنْ

فصل: في الإيمان بالحوض

مَا بَيْنَ صَنْعَاهُ وَبِصَرِّهِ هَكَذَا ذَكَرَ أ
وَأَنْ كَيْرَانَهُ مِثْلُ النَّجُومِ تُرَى
سِيمَاهُمْ: أَنْ يَرَى التَّحْجِيلُ وَالغَرَّا
عَنْ وَرْدَهُ وَرِجَالُ أَحَدَثُوا الْغَيْرَا
بِسُرْعَةٍ مَّنْ لَمْ نَهَا حَدِيَّهُ عَبْرَا
قَصْدُ وَقُولُ وَفَعْلُ لِلَّذِي أَمْرَا
كَمَا يَزِيدُ بِطَاعَاتِ الَّذِي شَكَرَ أ
مِنَ الْهَدَاةِ نَجُومُ الْعِلْمِ وَالْأَمْرَا
مِنَ الْمَعَاصِي فَيَلْغُى أَمْرُهُمْ هَدْرَا
نَبِيَّنَا وَبِهِمْ دِينُ الْهُدَى نُصْرَا
وَفِي النَّهَارِ لَدِيَ الْهَيْجَالِيُّوْثُ شَرِيَّ
وَالسُّبْقُ فِي الْفَضْلِ لِلصَّدِيقِ مَعَ عُمَرَأ
أَتَبَاعُهُمْ مِمَّنْ قَفَى الْأَثْرَا
بِالْخَيْرِ وَالْكَفَّ عَمَّا بَيْنَهُمْ شَجَرًا
عَنْ اجْتِهَادِهِ وَكَنْ إِنْ خَضَتْ مَعْتَذِرًا

وَأَنْ لِلْمُصْطَفَى حَوْضًا مَسَافَتَهُ
أَحْلَى مِنَ الْعَسْلِ الصَّافِي مَذَاقَتَهُ
وَلَمْ يَرِدْهُ سَوْئَ أَتَبَاعَ سَنَتَهُ
وَكَمْ يُنْهَى وَيُنْفَى كُلُّ مُبْتَدِعٍ
وَأَنْ جَسَرًا عَلَى النَّيْرَانِ يَعْبُرُهُ
وَأَنْ إِيمَانَنَا شَرِيعًا حَقِيقَتَهُ
وَأَنْ مُعْصِيَ الرَّحْمَنَ تَنْقَصُهُ
وَأَنْ طَاعَةً أَوْلَى الْأَمْرِ واجِبَةٌ
إِلَّا إِذَا أَمْرُوا يَوْمًا بِمُعْصِيَةٍ
وَأَنْ أَفْضَلُ قَرْنَ لِلَّذِينَ رَأَوْا
أَعْنَى الصَّحَابَةِ رَهْبَانَ بِلِيلِهِمْ
وَخَيْرُهُمْ مِنْ وَلِيِّهِمْ خَلَافَتَهُ
وَالْتَّابِعُونَ بِإِحْسَانٍ لَهُمْ وَكَذَا
وَوَاجِبُ ذِكْرِ كُلِّ مِنْ صَحَابَتَهُ
فَلَا تَخْضُنَ فِي حَرُوبٍ بَيْنَهُمْ وَقَعَتْ

فهم لناقدوة هم مقتفو الأثرا
ضَلَالَةُ تُبْعِتُ وَالدِّينُ قَدْ هُجْرَا
بِهِ الْكِتَابُ كِتَابُ اللَّهِ قَدْ أَمْرَا
وَهُلْ يُجَادِلُ إِلَّا كُلُّ مَنْ كَفَرَا
نَظَمًا بِدِيْعًا وَجِيزَ الْفَظْ مُخْتَصِرًا
رِسَالَةُ ابْنِ أَبِي زِيدٍ الَّذِي اشْتَهِرَ
غَفَرَانُ مَا قَلَّ مِنْ ذَنْبٍ وَمَا كَثَرَ
فَأَنذَرَ الشَّقَلَيْنِ الْجَنَّ وَالْبَشَرَ
وَلَيْسَ يَنْسَخُ مَا دَامَ الصَّفَا وَحْرَا
خَتَمَ النَّبِيِّنَ وَالرَّسُلَ الْكَرَامَ جَرَا
وَمَنْ أَجَازَ فَحْلَ قَتْلَهُ هَدَرَا
وَرْقًا وَمَا غَرَّدَتْ قَمَرِيَّةُ سَحْرَا

وَالْاقْتِداءُ بِهِمْ فِي الدِّينِ مُفْتَرِضٌ
وَتَرْكُ مَا أَحْدَثَ الضُّلَالَ فِيهِ فَكِيمٌ
إِنَّ الْهُدَىٰ مَا هَدَىٰ الْهَادِيٰ إِلَيْهِ وَمَا
فَلَامَرَاءٌ وَمَا فِي الدِّينِ مِنْ جَدْلٍ
فَهَاكَ فِي مِذْهَبِ الْأَسْلَافِ قَافِيَّةٌ
يَحْوِي مَهْمَاتٍ بَابٌ فِي الْعِقِيدَةِ مِنْ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مَوْلَانَا وَنَسَائِهِ
ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَىٰ مَنْ عَمَّ بِعْثَتْهُ
وَدِينُهُ نَسْخَ الْأَدِيَانِ أَجْمَعَهَا
مُحَمَّدٌ خَيْرُ كُلِّ الْعَالَمِينَ بِهِ
وَلَيْسَ مِنْ بَعْدِهِ يَوْحِي إِلَىٰ أَحَدٍ
وَالْأَلَّ وَالصَّحْبُ مَا نَاحَتْ عَلَىٰ فَنَنٍ



شرح مقدمة مؤلف الرسالة

قال أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القير沃اني - رحمه الله تعالى -: «الحمد لله الذي ابتدأ الإنسان بنعمته، وصوره في الأرحام بحكمته».

* الشرح:

لقد امتن الله على الإنسان بخلقه له، وتعليمه إياه، فقال سبحانه: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَمَ الْقَرْمَانَ ۚ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۚ عَلِمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ١-٤].
وقال: ﴿وَعَلَمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنِّيُؤْنِي بِأَسْمَاءٍ هَوَلَاءِ إِنْ كُنْتُ صَدِيقَنِ﴾ [البقرة: ٣١].

فدللت هذه الآيات على عنابة الله بهذا الإنسان، ولطفه به، ورحمته له؛ حيث ابتدأ خلقه في الرحم وصوره على أحسن صورة، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُ كُلَّمَا كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٦].
وقال سبحانه: ﴿فِي أَيِّ صُورَةِ مَا شَاءَ رَبَّكَ﴾ [الانفطار: ٨].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۖ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَفِلِينَ ۚ إِلَّا الَّذِينَ مَأْمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [التين: ٤-٦].

ففي هذه الآيات إخبار من الله عَزَّوجَلَّ بتصويره للكائن الإنساني، وأنه خلقه في أحسن صورة، وجعله في أفضل هيئة.

* قوله: «وأَبْرَزَهُ إِلَى رَفْقِهِ».

* الشرح:

يعني: أن الإنسان يخلق ضعيفاً، فجُبِّلَ أهله على الرحمة به، والرفق به.

* * * *

* ثم قال: «وَمَا يُسِرَّهُ لَهُ مِنْ رِزْقٍ».

* الشرح:

فهو يرزقه باللبن من حلمة الثدي، وبعد أن يشتد ويخرج له الأسنان أعطاه رزقاً آخر يليق بحاله، وهو الطعام الذي يعيش عليه أمثاله.

* * * *

* ثم قال: «وَعَلِمَهُ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ».

* الشرح: وقد أشرنا فيما سبق على الآيات الدالة على ذلك، ومن ذلك أيضاً قوله - جل وعلا -: ﴿أَفَرَا يَأْسِمُ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ ۚ خَلَقَ الْإِنْسَنَ مِنْ عَلِقٍ ۝ ۚ أَفَرَا وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ ۚ الَّذِي عَلَمَ بِالْفَلَوِ ۝ ۚ عَلَمَ الْإِنْسَنَ مَا لَمْ يَعْلَمُ﴾ [العلق: ٥-١].

* * * *

* ثم قال: «وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْهِ عَظِيمًا».

* الشرح:

حيث تفضّل عليه بالسمع، والبصر، واللسان الناطق، والعقل المفكر، والجوارح التي يتحرك بها؛ فيمشي، ويبطش، ويعمل، ويصنع.

* * * *

* ثم قال: «ونبهه بأثار صنعته».

* الشرح:

أي: نبهه بذلك على حكمة ربه وقدرته على أنه خلقه لعبادته، قال تعالى:

﴿أَمْ خَلَقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَلِقُوتُ ﴾ ٢٥ ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُؤْفِقُونَ ﴾ ٣٥ ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَرَائِينَ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصْبِطُرُونَ ﴾ [الطور: ٣٥-٣٧].

* * * *

* ثم قال: «وأعذر إليه على ألسنة المرسلين الخيرة من خلقه، فهدى من وفقه بفضله، وأضل من خذله بعده».

* الشرح:

ففي هذه الجملة بين المؤلف رحمه الله بأن الله عجل أرسل رسle من بني آدم إليهم فدعاهم إلى توحيده، وإفراده بالعبادة، ونبههم على أن العبادة هي الحكمة في أصل الإيجاد، فقال تعالى: ﴿يَبْيَنِي إِذْ أَدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رَسُولٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ إِيمَانِي فَمَنِ اتَّقَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ٢٥ ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِإِيمَانِنَا وَأَسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَلِيلُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٥-٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَأَعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّا وَالْإِنْسَانَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

ثم بين رحمه الله أن الناس بعد الرسالات انقسموا إلى قسمين: فريق تابعوا الرسل، وأمنوا بما جاءوهم به، فكانوا مهتدين، وفريق كذبوا وأبوا فكانوا مخدولين ضالين، فهو قد هدى من وفقه بفضله، وأضل من خذله بعده.

قال تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الظَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَيْنَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل: ٢٦].



* ثم قال: «وَيَسِّرْ الْمُؤْمِنِينَ لِلْيَسِّرِ»، وشرح صدورهم للذكرى، فآمنوا بالله بأسفهم ناطقين، ويقلو لهم مخلصين، وبما أتتهم به رسليه وكتبه عاملين».

* الشرح:

بَيْنَ عَلَى التَّفْصِيلِ مَا يَلْزَمُ فِي الإِيمَانِ مِنْ اتِّفَاقِ الْقُلُوبِ وَالْأَلْسُنَةِ وَالْجَوَارِحِ عَلَى مَقْتَضَاهِ فَالْقَلْبُ يَعْتَقِدُ وَيَؤْمِنُ وَيَصْدِقُ، وَاللِّسَانُ يَنْطَقُ مَوْافِقَةً لِلْقَلْبِ عَلَى مَقْتَضَى مَا صَدَّقَ بِهِ، وَالْجَوَارِحُ تَعْمَلُ عَلَى مَقْتَضَى مَا أُمِرَتْ بِهِ مِنْ أَفْعَالٍ وَتُرُوكِ.



* ثم قال: «وَتَعْلَمُوا مَا عَلِمْتُمْ».

* الشرح:

أي: ما علِمْتُمْ من شرائع الإيمان، تعلموا ذلك، ووقفوا عند ما حد لهم -أي: من الصفات-، أي من صفات الله عَزَّوجَلَّ العلية، وأسمائه الحسنی، فوقفوا عند ما بين لهم، وكتم عنهم الكيفية، فآمنوا بما أخبرهم به، وتركوا ما سكت عنه، ولم يتجاوزه كما قال مالك رَحْمَةُ اللَّهِ لِمَنْ قَالَ لَهُ: بِأَنَّ اللَّهَ قَالَ: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾

[الفرقان: ٥٩]. كيف استوى؟

فقال: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال

عن بدعة»^(١).

فدلل ذلك على أن المؤمنين آمنوا بما بينه لهم، وتوقفوا عند ما حد لهم ولم يتجاوزوا ذلك.

* * * *

* ثم قال: «واستغنو بما أحل لهم عمما حرم عليهم».

* الشرح:

فدلل على عبوديتهم لله تعالى حيث آمنوا بما أخبر به، وتعلموا ما أمرهم بتعلمه، ووقفوا عند ما حد لهم، وأخذوا ما أحل لهم، وامتنعوا عمما حرم عليهم، فكانوا عباد الله حقاً.

قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُوَنَا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ٦٣﴾ [الفرقان: ٦٣-٦٤] الآيات...

هذا هو شرح هذه المقدمة، أما بعد هذا فقد ذكر رحمة الله الدافع الذي حمله على كتابة هذه الجملة المختصرة فقال: «أما بعد: أعاشرنا الله وإياك على رعاية ودائعه، وحفظ ما أودعنا من شرائعيه».

والودائع تفسر بالأمانات التي اؤتمن عليها الإنسان في خلوته وجلوته من أداء العبادة، والتطهر حق الطهارة، وحفظ الحواس والجوارح عمما حرم الله. وفي الحديث: «استحبوا من الله حق الحياة. قالوا: إنا نستحيي من الله يا نبي الله،

(١) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية (ص ٣٣)، وقال الذهبي في العلو (١٤١): هذا ثابت عن مالك.

والحمد لله. قال: ليس ذلك؛ ولكن الاستحياء من الله حق الحياة: أن تحفظ الرأس وما وعى، وأن تحفظ البطن وما حوى، وأن تذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا ...». الحديث^(١).



* ثم قال: «إِنَّكَ سَأَلْتَنِي أَنْ أَكْتُبَ لَكَ جَمْلَةً مُخْتَصِّرَةً مِنْ وَاجِبِ أَمْوَارِ الدِّيَانَةِ مَا تَنْطِقُ بِهِ الْأَلْسُنَةُ وَتَعْتَقِدُهُ الْقُلُوبُ، وَتَعْمَلُهُ الْجَوَارِحُ، وَمَا يَتَصلُّ بِالْوَاجِبِ مِنْ ذَلِكَ مِنَ السَّنَنِ مِنْ مَؤْكِدَهَا وَنَوْافِلَهَا وَرَغَابَهَا، وَشَيْءٌ مِنَ الْآدَابِ مِنْهَا، وَجَمْلَةُ أَصْوَلِ الْفَقَهِ وَفَنُونِهِ عَلَى مَذَهِّبِ الْإِمَامِ مَالِكَ بْنِ أَنْسٍ - رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - وَطَرِيقَتِهِ».

* الشرح:

هذا قول المؤلف رَحْمَةُ اللَّهِ، وَنَحْنُ نَقُولُ: إن التفقة على ما صح عن النبي ﷺ على مذهب أي إمام كان، فمن وافقه الدليل منهم قوله المقدم، ومن خالف الدليل بشيء من التأويل، أو عدم صحة الدليل عند المستدل، أو ما أشبه ذلك من الأمور التي تحمل ذلك الإمام على عدم القول بالدليل في مسألة ما؛ فنحن نعذر ونقول: إنه لم يترك الدليل إلا لأنه لم يبلغه، أو أنه أَوْلَهُ، أو تعارض مع غيره عنده، ونحن نهيب بالأئمة ونكر لهم عن أن يكونوا قد تركوا الدليل عامدين بدون عذر، ولا عيب على من ترك قول ذلك الإمام الذي خالف الدليل، لا عيب عليه في تلك المخالفة؛ لأن كلاً يؤخذ من قوله ويرد إلا رسول الله ﷺ.

(١) أخرجه الترمذى (٢٤٥٨)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٩٣٥).

وكلنا نؤمن بأننا جمِيعاً إنما كلفنا بمتابعة الرسول ﷺ لا بمتابعة غيره، وأن من عظم شأنه من الأئمة وكثُر أتباعه منهم إنما حصل ذلك لأن التابعين له ظنوا أنه من المتبوعين لرسول الله ﷺ في كل شيء إلا ما خفي عليه من غير قصد ولا تهاون، وقد تبيَّن من هذا أن الواجب علينا جميعاً هو اتِّباع الدليل، سواء كان الدليل مع مالك، أو الشافعي، أو أحمد بن حنبل، أو أبي حنيفة أو غيرهم.

* * * *

* ثم قال: «مع ما سهل سبيل ما أشكل من ذلك من تفسير الراسخين، وبيان المتفقهين لما رغبت فيه من تعليم ذلك للولادان كما تُعلِّمُهم حروف القرآن».

* الشرح:

وأقول: يقصد المؤلف من هذا: أن الواجب أن نأخذ من تفسير الراسخين في العلم والمتفقهين في الدين ما يناسب تلك المسألة مما يجعل الإنسان عارفاً لتلك المسألة، وما قيل فيها، غير أن الواجب عليه أن يتبع ما ترجم عنده إن كان مؤهلاً، وأن يعلمه لمن وكل إليه تعليمهم من الأطفال والصغار أو الشباب الذين يريدون معرفة الحق ليتبعوه.

* * * *

* ثم قال: «ليس بـقـلـوبـهـمـ فـهـمـ دـيـنـ اللهـ وـشـرـائـعـهـ ماـ تـرـجـىـ لـهـ بـرـكـتـهـ وـتـحـمـدـ لـهـ عـاقـبـتـهـ».

* الشرح:

يعني: أن الأطفال الذين يُعلمون العقيدة الصحيحة من الصغر أن تلك

العقيدة الصحيحة تحتل قلوبهم فتشتت فيها وتمنع ما يُعرض عليها من المحدثات التي تُردها الشرائع، وقد أشار حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه إلى ذلك؛ فقال فيما رواه عن النبي ﷺ: «تعرض الفتنة على القلوب كعرض الحصير عوداً عوداً» -أو: كالحصير عوداً عوداً- فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء»^(١).

وقد أشار المؤلف إلى أن خير القلوب أو عاها للخير، فقال بعد قوله: «فأجبتك إلى ذلك لما رجوت لنفسك ولد من ثواب من عَلِمَ دين الله، أو دعا إليه».

* * * *

* ثم قال: «واعلم أن خير القلوب أو عاها للخير، وأرجى القلوب للخير مالم يسبق الشر إليه».

* الشرح:

يعني: أن القلوب التي يسبق إليها الشر تتأثر به غالباً، وأن القلوب التي يأتي إليها الخير، وهي حالية صافية فهي التي يرجى تقبلها لذلك الخير والعمل به.

* * * *

* ثم قال: «وأولئي ماعني به الناصحون، ورغبة فيه أجره الراغبون إيصال الخير إلى قلوب أولاد المؤمنين ليرسخ فيها، وتنبيههم على تعاليم الديانة، وحدود الشريعة ليراضوا عليها».

* الشرح:

قوله: «ليراضوا عليها». من الرياضة، وهي التمرن على الشيء.

(١) أخرجه مسلم (١٤٤).

* «وما عليهم أن تعتقده من الدين قلوبهم، وتعمل به جوارحهم، فإنه قد روي أن تعلیم الصغار لكتاب الله يطفئ غضب الله، وأن تعلیم شيء في الصغر كالنّقش في الحجر».

* الشرح:

وأقول: هذا كلام حق - إن شاء الله - إذا قصد به تعلیم الصغار العقيدة الصحيحة حتى ينجو في مستقبلهم من قبول المحدثات والبدع والضلالات.

* * * *

* قال: «وقد مثلت لك من ذلك ما ينتفعون - إن شاء الله - من حفظه ويسربون من علمه ويسعدون من اعتقاده والعمل به، وقد جاء - أي: عن النبي ﷺ - أن يؤمروا بالصلاوة لسبعين سنين، ويضرروا عليها لعشرين سنين، ويفرق بينهم في المضاجع، فكذلك ينبغي أن يُعلّموا ما فرض الله على العباد من قول وعمل قبل بلوغهم؛ ليأتي عليهم البلوغ وقد تمكّن ذلك من قلوبهم، وسكنت إليه أنفسهم، وأنست بما يعملون به من ذلك جوارحهم، وقد فرض الله ﷺ على القلب عملاً من الاعتقادات، وعلى الجوارح الظاهرة عملاً من الطاعات، وسأفصل لك ما شرطت لك ذكره بباباً باباً ليقرب من فهم متعلميـه - إن شاء الله تعالى -، وإياه نستخـير وبه نستعين، ولا حول ولا قوـة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وآلـه وصحبه وسلم تسليـماً كثـيراً».

* * * *

* قال الماتن: أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القير沃اني رَحْمَةُ اللَّهِ:

باب: ما تنطق به الألسنة وتعتقد الأفئدة

من واجب أمور الديانات

«من ذلك الإيمان بالقلب، والنطق باللسان أن الله إله واحد لا إله غيره ولا شبيه له، ولا نظير له، ولا ولد له، ولا صاحبة له، ولا شريك له، ليس لأوليته ابتداء، ولا لآخريته انقضاء، ولا يبلغ كنه صفتة الواصفون، ولا يحيط بأمره المتفکرون بآياته، يعتبر المتفکرون بآياته، ولا يتذكرون في ماهية ذاته، ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء، وسع كرسيه السموات والأرض، ولا يئوده حفظهما وهو العلي العظيم».

* الشرح:

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين،
نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * * *

* قوله: «باب: ما تنطق به الألسنة، وتعتقد الأفئدة من واجب أمور الديانات».

* قال: «من ذلك الإيمان بالقلب».

* قلت: ومعنى الإيمان بالقلب، أي: التصديق بوحدانية الله تَعَالَى مؤكداً ذلك بالنطق باللسان أن الله إله واحد لا إله غيره، وهذا معنى لا إله إلا الله. فكلمة «لا إله» مركبة من جملتين: جملة النفي، وجملة الإثبات.

فجملة النفي المتقدمة، وهي مؤلفة من «لا» النافية ومتفيها، فـ«لا» الكلمة نفي وـ«إله»: نكارة تشمل جميع الآلهة إذ إن النكارة إذا كانت في سياق النفي فهي تعم، ومن أجل ذلك اقتضى هذا النفي أنه نفي لجميع الآلهة أي نفي لجميع العبودات، ثم بعد ذلك جاء الإثبات بـ«إلا» الاستثنائية، لا إله إلا الله، وهذا مقتضى قوله أن الله إله واحد لا إله غيره، ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِنَّ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونَ﴾ [الأنياء: ٢٥].

* * * *

* أما قوله: «لا شبيه له، ولا نظير له، ولا ولده، ولا والدله، ولا صاحبة له، ولا شريك له».

فهذا نفي لكونه متولداً من غيره، أو غيره متولد منه، ونفي للأشباه والنظراء والمعينين والوزراء، ونفي للصاحبة والشريك، وهذا النفي تضمنته سورة الإخلاص: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ أي: المقصود في الحوائج: ﴿لَمْ يَكُلْدُ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٢﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾. ثم يأتي بعد ذلك الجملة الأخرى النافية لابتداء وجوده، ولانتهاء ديموميته، وانقضائه ربوبيته، فقال رحمة الله:

* * * *

«ليس لأوليته ابتداء، ولا لآخريته انقضاء».

* الشرح:

وهذا المعنى تثبته الآية الثالثة من سورة الحديد، حيث يقول فيها عجلة: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

وفي الحديث الصحيح، عن النبي ﷺ: «اللهم أنت الأول الذي ليس قبلك شيء، وأنت الآخر الذي ليس بعده شيء، وأنت الظاهر الذي ليس فوقك شيء، وأنت الباطن الذي ليس دونك شيء»^(١).



* قوله: «ولا يبلغ كنه صفتة الواصفون، ولا يحيط بأمره المتفکرون، يعتبر المتفکرون بآياته، ولا يتذکرون في ماهية ذاته، ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء، وسع كرسيه السموات والأرض، ولا يئوده حفظهما وهو العلي العظيم».

* الشرح:

يقرر المؤلف رحم الله عجز المخلوقين عن بلوغ وصفه، وعجزهم عن الإحاطة بأمره، وأنهم مأمورون بالتفكير في آياته؛ أما ذاته فلا تفترضها الأذهان، ولا تبلغها المقاييس؛ فالقلوب عاجزة أن تتصور صفتة، والأذهان كآللة أن تحيط بمعرفته، فلا يقدر العباد أن يعلموا من صفاته وأسمائه ونوعات ذاته إلا ما علمهم إياه، فالاعتراف بالعجز عن بلوغ معرفته هو الغاية التي ينبغي أن يتنهى إليها كل مخلوق، ولقد قرر ذلك بقوله: «ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء».



(١) أخرجه مسلم (٢٧١٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

* قوله: «العالِمُ الْخَبِيرُ الْمَدْبُرُ الْقَدِيرُ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ،
وَأَنَّهُ فَوْقَ عَرْشِهِ الْمَجِيدُ بِذَاتِهِ وَهُوَ فِي كُلِّ مَكَانٍ بِعِلْمِهِ».

الشرح:

تضمن قوله **رَحْمَةُ اللَّهِ** أَنَّ اللَّهَ موصوف بصفاتِ الْكَمَالِ فَكُلُّ وَصْفٍ وَصْفُ اللَّهِ
بِهِ نَفْسُهُ فَهُوَ فِي غَايَةِ الْكَمَالِ، فَإِذَا وَصَفْنَا اللَّهَ بِأَنَّهُ عَالَمٌ كَمَا وَصَفْتُ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ
سُبْحَانَهُ: ﴿عَلِمَ الْغَيْبٍ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ ﴿إِلَّا مَنْ أَرْتَضَى مِنْ رَسُولِ إِلَاهٍ﴾
يَسْلُكُ مِنْ بَنِ يَدِيهِ وَمَنْ خَلَقَهُ رَصَدًا﴾ [الجِنْ: ٢٦-٢٧].

فإن معنى ذلك: أن الله له الوصف الأعلى في العلم والاطلاع، كذلك له الوصف الأعلى في الخبرة حينما نقول: الخبير فهو خبير بمواطن الأمور وظواهرها. المدبر: موصوف بأنه يدير هذا الكون، ويصرفة ويجريه على ما قد قدره له بِنَفْسِهِ.

السميع البصير: هاتان الصفتان وصفَ الله بهما نفسه ووصفه بهما رسوله ﷺ، فإذا وصفناه بالسميع فإن معنى ذلك أنه سميع لكل مسموع حتى ما يخفى على الناس يسمعه، وما تخفى رؤيته على الناس يبصره، فعندما نصف الله ﷺ بأنه السميع البصير فإن هذا الوصف يقع على أكمل صفة فيه وأعلاها والإنسان موصوف بأنه سميع بصير، قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَنَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٌ ثَتَّلَيْهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢]. فإذا اتفقت صفة الله وصفة العبد في الأسماء فهل يلزم من ذلك اتفاقهما في الحقائق؟

تقول عائشة رضي الله عنها: «الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد كانت خولة بنت ثعلبة تجادل النبي ﷺ في زوجها في ناحية البيت فيخفى على بعض

كلامها فأنزل الله ﷺ : ﴿فَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّلُكَ فِي رَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرًا كَمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١] ^(١).

فسمعُ الإنسان يحجبه بعد، وتحجبه الحجب، وسمع الله لا يحجبه شيء، وكذلك بصره يرى ما في تضاعيف الأرض، وما في أجوف البحار، يرى كل شيء فتحن إذا وصفنا الله بأنه سميع بصير فإن له أكمل وصف في ذلك وأعلاه - جل شأنه وتقديست أسمائه -.

العلي: علو المكانة، وعلو المكان، وعلو القدر؛ فهو عال على عرشه بذاته، وهو مستعمل على كل شيء من خلقه بقدرته، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلِسْكُمْ شِيَعًا وَيُنِيبَ عَضْكُمْ بَاسَ بَعْضٌ أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْأَيَّاتِ لَعَلَّهُمْ يَقْهَرُونَ﴾ [الأنعام: ٦٥].

وقوله: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ٦١].

وقوله: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَدَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِ يَدَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٩].

* * * *

* قوله: « وأنه فوق عرشه المجيد بذاته وهو في كل مكان بعلمه».

* الشرح:

معنى أنه مطلع على كل مكان لا يخلو من علمه مكان.

* * * *

(١) أخرجه البخاري تعليقاً في كتاب التوحيد، باب: وكان الله سميعاً بصيراً.

* ثم قال: «خلق الإنسان ويعلمُ ما توسوس به نفسه، وهو أقرب إليه من حبل الوريد، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها، ولا حبة في ظلمات الأرض، ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين».

* الشرح:

في هذه الفقرة بيان شمول علمه ودقته، بحيث لا تغيب عنه ورقة تسقط من شجرتها إلا ويعلم الشجرة أين مكانها من الأرض، ويعلم الورقة أين مكانها من الشجرة، وما من حبة تلقى في الأرض إلا ويعلم أين وقعت، كل ذلك معلوم عنده بِحَلْوَةِ اللَّهِ، لهذا فإن الواجب على العبد أن يؤمن بهذا كله، ويعتقد صحته، ويعتقد كمال علم ربه بِحَلْوَةِ اللَّهِ.

قال تعالى: ﴿فَلَمْ يَعْلَمْ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبَعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥]. بل نؤمن أن كل ما يقع في الكون فهو مدون في ألم الكتاب لا يشذ عن علمه شيء.

* * * *

* قوله: «على العرش استوى، وعلى الملك احتوى».

* الشرح:

على العرش استوى، لا شك في ذلك، كما أخبر بذلك عن نفسه في سبعة مواضع من القرآن، وأهل العلم من سلف هذه الأمة يقولون: استوى استواءً يليق بجلاله بِحَلْوَةِ اللَّهِ، فنحن نؤمن بذلك، ونكلِّ كيفية الاستواء إلى الله بِحَلْوَةِ اللَّهِ.

وقد قيل لمالك رحمه الله: إن الله تعالى يقول: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سَتَةِ أَيَّامٍ ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]. كيف استوى؟

فأطرق مالك رَحْمَةُ اللَّهِ وَتَعْجَبَ مِنْ هَذَا السُّؤَالِ الْعَجِيبِ، وَعَلَاهُ الْعَرْقُ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، وَقَالَ: «الْا سْتَوَاءِ مَعْلُومٌ، وَالْكِيفُ مَجْهُولٌ، وَالإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بَدْعَةٌ، وَأَنْتَ رَجُلٌ سُوءٌ؛ أَخْرُجُوهُ»^(١).



* أما قوله: «وعلى الملك احتوى».

* الشرح:

فهذه الجملة يلاحظ على المؤلف فيها، فينتقد عليه هذا التعبير؛ إذ إن قوله: «وعلى الملك احتوى». كأنه يشعر بمنازع الله فيه، وليس كذلك، والذي نظنه أن ذلك جرى على لسانه من باب التجنيس، وإلا فمن هو المنازع لله حتى يكون الله قد احتوى على الملك بعد المنازعة.

فالله عَزَلَ لا منازع له هو الخالق لهذا الكون، والمنشئ له، والحافظ له بمن فيه
قال - جل من قائل - : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَيْنَ زَالَتَا إِنَّ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر: ٤١].

وقال - جل من قائل - : ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقْعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ يَالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحج: ٦٥].

وقال - جل شأنه - : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنياء: ٢٢].

وقال في موضع آخر: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ إِلَهٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَا يَتَبَغَّوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَيِّلًا سُبْحَانَهُ وَتَعَلَّى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ ^{٤٢} تسبّح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من

(١) مر تخریجه (ص ٢٤).

شَيْءٌ إِلَّا يُسْتَحْيِيهِ وَلَكِنَ لَا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٢﴾ [الإسراء: ٤٤-٤٢]. والمعنى أن قوله: «وعلی الملك احتوى» كان ينبغي ألا تقال؛ لأنها تشعر بضد احتوى الله على الملك بعده، ولا ينبغي أن نقر مثل هذا، والله أعلم.



* قوله: «وله الأسماء الحسنة».

* الشرح:

هذا قيد الأسماء بأن الله عَجَلَةً يُسمى بأسمائه الحسنة، كما قال تَعَالَى: ﴿فَوْقَ آدْعُوا اللَّهَ أَوْ آدْعُوا الرَّحْمَنَ إِيَّاهَا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء: ١١٠]. وقوله: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]. وهذا يدلنا على أن لا نسمى الله عَجَلَةً إلا بأسمائه الحسنة التي تتضمن الكمال المطلق له - جل وعلا - وعلى هذا فإنه لا يجوز أن نسمى الله عَجَلَةً بأسماء لا تتضمن ذلك، فإذا كان الاسم بانفراده يفهم منه نقص، لم يجز أن نسميه به على انفراده، فهناك أسماء تذكر على سبيل المقابلة، كقوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرَهُوا مَكْرُنَاهُمْ كَرَّاهُوا هُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [٥٠] فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَيْقَبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ [النمل: ٥١-٥٠]. وقوله: ﴿وَيَمْكِرُونَ وَيَمْكِرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَمْكُرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

وقوله: ﴿يَخْدِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَذِيلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢].

وقوله: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطارق: ١٥-١٦].

فهذه الأسماء والصفات لا يساق منها اسم بانفراده؛ لأنه يوهم النقص، وإنما ذُكرت على سبيل المقابلة؛ أي: أن الله يقابل مكرهم وخداعهم وكيدهم بمثله - فلا يجوز أن نصف الله بأنه ماكر، أو خادع، أو كائد؛ لأن هذا الاسم، أو تلك

الأسماء توهם نقصاً، وكذلك ما كان لا يتضمن كمالاً فهو كذلك أيضاً كقوله

-جل وعلا:- ﴿قُلْ أَئِ شَيْءٌ أَكْبَرُ شَهَدَةً فَلُّ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ۱۹].

فـ«شيء» هنا نكرة دخل فيها الله ذو الجلال والإكرام وغيره، فلا يجوز أن
نسميه بأنه شيء؛ لأن ذلك لا يتضمن مدحًا.

وكذلك حديث: «لا شخص أغير من الله»^(١). فلا نسميه شخصاً، لأن ذلك لا يتضمن مدحًا، وعلى هذا فإن الواجب علينا أن نسمي الله بِكُلِّ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا [الأعراف: ١٨٠].



* قوله: «والصفات العلا».

الشرح *

الصفات الواردة في القرآن والسنّة التي ينبغي أن نصف الله بها معتقدين
لكمالها، وعلوها، فإذا اتفقت مع بعض صفات المخلوقين، فنحن نؤمن أن صفات
الله عَزَّلَ متضمنة العلو والكمال في تلك الصفات، فإذا وصفنا الله بأنه حي،
ووصفنا المخلوق بأنه حي، فيجب أن نعتقد الفرق بين حياة الخالق والمخلوق.
فحياة الخالق كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه، بخلاف حياة المخلوق،
فكُل مخلوق حياته محاطة بالعدم السابق، والفناء اللاحق، وهي أيضًا مفتقرة إلى
من أوجدها، ويقوم بوجودها، فمثلاً الإنسان حياته متوقفة على ما جعلها الله عَزَّلَ
متوقفة عليه فهي لا تبقى إلا بوجود ما قدر الله بقاءها عليه.

(١) أخرجه البخاري تعليقاً، كتاب التوحيد، باب قول النبي ﷺ لا شخص أغير من الله، ومسلم (١٤٩٩) من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

فالإنسان والحيوان حياتهما متوقفة على ثلاثة أمور هي: الأكل، والشرب، والراحة - الذي هو النوم -، والملائكة خلقهم الله على ما خلقهم عليه فهم لا يحتاجون إلى أكل، ولا إلى شرب كما يحتاجها الإنسان والجن؛ ولكنهم مفتقرون في وجودهم إلى الله الذي أوجدهم، والمهم أنّا إذا وصفنا الله بصفاته التي وصف نفسه بها في كتابه، أو على لسان رسوله فإنّا نعتقد بأن صفاتـه غـاية في الـكمـال وعلـو الشـأن.



* قوله: «لم يزل بجميع صفاتـه وأسمـائه».

* الشرح:

أي: أنه لم يزل متصفـاً بصفاتـه الذاتـية، وصفاتـه الفـعلـية، وصفاتـ الذاتـية والـفعـلـية، فهو لم يـزل مـتصفـاً بـها جـمـيعـاً، وـالـصـفـاتـ تـنـقـسـ إـلـا ثـلـاثـةـ أـقـسـامـ: أولاً: صـفـاتـ ذاتـيةـ محـضـةـ: كـصـفـةـ السـمـعـ وـالـبـصـرـ، وـصـفـةـ الـوـجـهـ وـالـيـدـيـنـ، وـصـفـةـ الـكـفـيـنـ وـالـأـصـابـعـ وـالـرـجـلـ وـالـسـاقـ وـالـقـدـمـ.

ثـانـيـاً: صـفـاتـ ذاتـيةـ فـعلـيةـ: كـصـفـةـ الـكـلامـ، وـالـخـلـقـ وـماـ أـشـبـهـ ذـلـكـ.

ثـالـثـاً: صـفـاتـ فـعلـيةـ: كـصـفـةـ الـاسـتـوـاءـ وـصـفـةـ التـرـولـ، وـالـمـجـيـءـ، وـصـفـةـ الـإـتـيـانـ.

فـهـذـهـ الصـفـاتـ كـلـهاـ يـجـبـ أـنـ نـشـبـهـاـ لـهـ وـعـجـلـاـ، إـثـبـاتـاـ يـلـيقـ بـجـلـالـهـ مـنـزـهـاـ عنـ النـقـصـ وـالـحـدـوـثـ، وـلـهـذـاـ قـالـ المـصـنـفـ: «ـتـعـالـىـ اللـهـ أـنـ تـكـوـنـ صـفـاتـهـ مـخـلـوقـةـ، أـوـ أـسـمـاؤـهـ مـحـدـثـةـ».



* قوله: «كلم الله موسى بكلامه الذي هو صفة ذاته التي يفعلها متى شاء، وكيف شاء».

* الشرح:

وأهل السنة يقولون: نعتقد أن الله يتكلم بكلام قديم النوع حادث الآحاد، ومعنى ذلك: أن الكلام صفة لله هو متصرف بها، فهو يتكلم متى شاء وكيف شاء. فقولهم: قديم النوع؛ يعني: أن الكلام صفة لله ثابتة لجلاله، موجودة بوجوده الذي ليس له ابتداء، ولم يكن له ابتداء، ولا يكون له انتهاء.

أما قولهم: حادث الآحاد، فمعناه: أن الكلام يحدث منه سبحانه متى شاء، وفي الوقت الذي يشاء، فهو موصوف بكلام، ومن لا يتكلم فهو ناقص، ومن لا ينطق فعنه نقص، كيف يمكن أن يكون إلهًا، والله تعالى قد وصف أقواماً من الناس بأن لهم قلوبًا لا يفهون بها، ولهم أعينًا لا يصررون بها، ولهم آذاناً لا يسمعون بها، فمن لم يكن موصوف بالفهم والبصر والسمع فهو ناقص؛ ولهذا قال: ﴿وَلَقَدْ ذَرَانَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبَصِّرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَذْانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

والكلام عدمه نقص، ووجوده كمال في حق الإنسان، فلو أن قوماً أرادوا أن يملؤوا عليهم ملكاً فاختاروا ذلك الملك، بأن يكون أبكم لا يتكلم وأعمى لا يبصر، وأصم لا يسمع وضعيف الفهم لا يفهم، أيكونون قد أصابوا؟!

الجواب: لا، فكيف يكون جبار السموات والأرض وحالقهما ومنشهما على غير مثال سبق يوصف بأنه لا يتكلم، يصح أن يكون إلهًا لا يتكلم؟!

الجواب: لا، وقول الله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّنْ ذِكْرٍ مِّنْ رَّبِّهِمْ تُحَدَّثُ إِلَّا

شرح عقيدة ابن أبي زيد القير沃اني

أَسْتَمْعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿الأنبياء: ٢﴾. فوصفه بأنه محدث إنما هو بالنسبة للمخلوقين، أما باتصاف قائله به فليس بمحدث بل إن الكلام صفة له - جل وعلا - على ما يليق بجلاله بِنَفْسِهِ.

قال الله وَجَلَّ: «وَكَلَمُ اللَّهِ مُوسَى تَكَلِّيمًا» [النساء: ١٦٤].

وقال - جل من قائل -: «فَلَمَّا كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لِكَلِمَتِ رَبِّ الْقَدَرِ الْبَحْرَ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْجَشَنَا إِمْثَلَهُ مَدَادًا» [الكهف: ١٠٩].

وقال بِنَفْسِهِ: «صُمْ بِكُمْ عُمْ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ» [البقرة: ١٨].

فدم الله المنافقين بعدم السمع، وعدم الكلام وهو البكم، وعدم البصر وهو العمى، وقال بِنَفْسِهِ: «وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمُ وَالْبَحْرُ يَمْدُدُهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» [لقمان: ٢٧].

فهذه الآيات مثبتة لكلام الله بِنَفْسِهِ على ما يليق بجلاله، وأن هذه الصفة قديمة بقدمه باقية ببقائه كاملة بكمال المتصف بها بِنَفْسِهِ، وفي الحديث: «من نزل منزلًا فقال: أعود بكلمات التامات من شر ما خلق؛ لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك»^(١).

والله تعالى يقول: «وَتَمَتَّ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ، وَهُوَ أَلْسَمِيعُ الْعَلِيمُ» [الأنعام: ١١٥]. وهذا من حيث اتصافه بالكلام.

والقرآن كلام الله وَجَلَّ أنزله على عبده رسوله؛ ليكون تشريعاً لعباده إلى يوم القيمة، وقد وصف به نفسه، وأضافه إليه حيث يقول - جل من قائل -: «وَإِنَّمَّا أَنْدَلَّ مِنَ الْمُشَرِّكِينَ أَسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَاتَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلَغَهُ مَا مَنَّهُ» [التوبه: ٦].

(١) أخرجه مسلم (٢٧٠٨) من حديث خولة بنت حكيم بِنَفْسِهِ.

فمن زعم أن القرآن مخلوق، فهو كافر بهذه الآيات التي سردناها.
وقد اتفق أهل السنة والجماعة من أهل الحديث والفقه على أن من قال:
القرآن مخلوق؛ فإنه كافر، وكذلك من قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو مبتدع.
وبعضهم كفر من قال ذلك؛ ولكن الأكثر على وصفه بالابتداع؛ بل ومن
وقف فلم يقل: مخلوق، ولا غير مخلوق، ولم يجزم بأنه كلام الله فهو مبتدع أيضاً،
ولقد وقف الإمام أحمد ومن معه من أهل السنة موقف الصرامة من الواقفة.
وممن صرخ بأن لفظه بالقرآن مخلوق، فهجروه ومنعواأخذ العلم عنهم،
وإن كانوا علماء؛ وإنما كان ذلك منهم لأجل قطع الطريق على من يريد التلاعب
في القرآن فأطلق أن لفظه بالقرآن مخلوق؛ حيث إن اللفظ يشمل فعل العبد،
ويشمل القرآن الذي هو كلام الله، فمن ذلك كان موقفهم من هذا النوع من الناس،
موقف القوة والصرامة.

فقد نهى أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلَ رَحْمَةُ اللَّهِ عَنِ إِتِيَانِ الْحَسِينِ بْنِ عَلِيٍّ الْكَرَابِيسِيِّ، وَعَنِ
أَخْذِ الْعِلْمِ عَنْهُ، وَمَنْعِ رَحْمَةِ اللَّهِ أَنْ يُسْمَحَ بِدُخُولِ دَاؤِدَ الظَّاهِرِيِّ عَلَيْهِ مِنْ أَجْلِ أَنْ هُوَ وَقَدْ
وَكَذَلِكَ يَعْقُوبُ الدُّورِقِيُّ، وَأَمْثَالُهُؤُلَاءِ الَّذِينَ وَقَفُوا، وَلَهُذَا قَالَ الْمُصَنِّفُ: «وَإِنَّ
الْقُرْآنَ كَلَامَ اللَّهِ لَيْسَ بِمُخْلُوقٍ».

* * * *

* قوله: «وتجلی للجبل فصار دکاً من جلاله».

* الشرح:

أي تجلی الله للجبل فصار دکاً من جلاله، يشير المصطف في هذه الجملة
إلى قوله تعالى عن موسى عليه السلام أنه قال: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِيُمْرِنَا وَكَلَمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ

أَرِفْ أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ أَسْتَقْرَ مَحَانَهُ فَسَوْفَ تَرَنِي فَلَمَّا تَجَلَّ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكَّاً وَحَرَّ مُوسَى صَعِيقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تَبَّتْ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَسْمُوْسَى إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسْلَتِي وَبِكَلْمِي فَخُذْ مَا أَتَيْتُكَ وَكُنْ مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٤].

وفي الحديث: «إن الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخوض القسط ويرفعه، يُرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل، حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سُبُّحاتُ وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»^(١).



* قوله: «والإيمان بالقدر خيره وشره حلوه ومره، وكل ذلك قد قدره الله ربنا، ومقادير الأمور بيده ومصدرها عن قضائه علم كل شيء قبل كونه فجرئ على قدره، ولا يكون من عباده قول ولا عمل إلا وقد قضاه وسبق علمه به ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَيِّرُ﴾ [الملك: ١٤].

* الشرح:

الإيمان بالقدر خيره وشره، ركن من أركان الإيمان الستة لا يؤمن أحد إلا بالإيمان بذلك وقد روى مسلم^(٢): أن عبد الله بن عمر رضي الله عنه بينما هو داخل المسجد اكتنفه رجال من أهل البصرة فقال أحدهما - وظن أن صاحبه سيكل الكلام إليه -: قال: إنه قد ظهر قبلنا أقوام يقرءون القرآن، ويتفرون العلم،

(١) أخرجه مسلم (١٧٩) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٨).

يُزعمون أن لا قَدَرَ، وأن الأمر أُنْفَ.

فقال له عبد الله بن عمر: «إذا لقيت أولئك فأخبرهم أني براء منهم، وأنهم براء مني، والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أنفق أحد هم مثل أحد ذهباً ما تُقبل منه حتى يؤمن بالقدر خيره وشره».

ثم شرع يحدث عن أبيه بالحديث الذي حدثه عن مجيء جبريل الصَّلَوةُ عَلَيْهِ وَسَلَامٌ وسؤاله النبي ﷺ عن أركان الإسلام والإيمان، والإحسان فذكر أن أركان الإسلام خمسة: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت الحرام.

وأن أركان الإيمان ستة: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره... الحديث.

فالإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان، ولا يصح إيمان عبد إلا بذلك، وقد خالف في ذلك فتنان هما:

- القدرية النفاة.
- القدرية الغلة.

فالقدرية النفاة: هم الذين يُزعمون أن الله قدر الخير، ولم يقدر الشر، وهذا هو المذهب السائد عند المعتزلة، وهم في زعمهم أنهم ينزعون الله عن كونه يقدر الشر ثم يعاقب عليه، ولم يعلموا أنهم قد وقعوا فيما هو أشرف مما فروا منه، فإنهم إذا زعموا أن الله خالق الخير، وأن كل إنسان خالق للشّر الذي يصدر منه، من: كفر، وفجور، ومعاصي كبار، أو صغائر، فإن ذلك يستلزم أموراً:

- أولها: أنهم قد أثبتوا خالقين فشابهوا المجوس بذلك.

شرح عقيدة ابن أبي زيد القير沃اني

ثانيها: أنهم قد نسبوا الله إلى العجز، حينما يكون في كونه شيء لم يقدره.
ثالثها: أن ذلك يستلزم أن الله كان مغلوبًا على أمره، وأن الكفار غلبوه، وهذا قول باطل.

وأما القدرية الغلاة: فهم الذين يقولون: إن العبد مجبر على ما صدر منه، سواء كان كفراً، أو إيماناً، أو طاعةً، أو معصيةً، وزعموا أن الإنسان بمنزلة الغصن الذي يحرّك، والحجر الذي يُدحرج، وهذا القول قول باطل أيضاً.

وكل إنسان من هذه الخليقة كلها يحس بأنه حر في اختياره، فهو يفعل ما يشاء بخيرة نفسه، وأنه لا إجبار عليه، وهذا القول هما قول القدرية.

أما أهل السنة والجماعة، فإنه يقولون: أن الله -جل وعلا- له إرادتان:
الأولى: إرادة كونية قدرية، أراد فيها وقوع الخير، والشر، والإيمان، والكفر،
والطاعة، والمعصية، وكتب ذلك على العباد، وكل منهم صائر إلى ما كتب له أو
عليه بما منحه الله من قدرة، وما رُكِبَ فيه من إرادة و اختيار.

أما الإرادة الأخرى: فهي الإرادة الشرعية، وأن العباد مخلوقون، وأعمالهم
مخلوقة أيضاً.

يدل على ذلك قول إبراهيم الخليل لقومه فيما حكاه الله عنه: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِيُونَ ١٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ [الصفات: ٩٥-٩٦]. فأخبر أن أعمالهم مخلوقة كما أنهم هم مخلوقون، وأن الله يجازي العباد على كسبهم، الذي فعلوه بمحض إرادتهم و اختيارهم، وله على عباده الحجة الدامغة، وله فيهم الحكمة البالغة، ويؤمن أهل السنة والجماعة بأن الله لا يعذب أحداً من خلقه إلا بذنب،-- وأن الله لا يظلم أحداً من خلقه كما قال تعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدْلٍ إِنَّمَا يُعَذِّبُ أَنفُسَهُمْ﴾

شَكَرْتُمْ وَأَمْنَسْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلَيْمًا ﴿النساء: ١٤٧﴾.

وقال - جل من قائل - : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةٌ يُضَعِّفُهَا وَيُؤْتَ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠].

وقال - جل من قائل - : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونس: ٤].

فهذه عقيدة أهل السنة والجماعة: يعتقدون أن الله خلق العباد وأعمالهم، وأنه يثيهم عليها، أو يعاقبهم بسبب كسبهم لها الذي صدر عن محض إرادتهم واختيارهم، وجل ربنا وتقدس من أن يظلم أحداً من خلقه.

وفي الحديث القدسي الذي رواه مسلم ^(١)، عن أبي ذر رضي الله عنه، عن النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه - فيما يرويه عن ربه تعالى الله عنه - : «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا».

فدللت الأدلة الشرعية أن الله لا يظلم أحداً من خلقه، إلا أن الله يُنْزَه عن نسبة الشر إلى إجلاله تعالى الله عنه; ولهذا قالت الجن حين طردوا من السماء: ﴿وَأَنَا لَا نَدِرِي أَشَرُّ أُرِيدُ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رُثُمَ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠].

فقولهم: أشر أريد بمن في الأرض، إنما قالوا ذلك تزييه الله تعالى الله عنه مع علمهم بأن الله هو خالق الخير والشر.

ومن ذلك قول النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه: «لبيك وسعديك والخير كله في يديك، والشر ليس إليك» ^(٢). فنزع النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه ربه عن نسبة الشر إليه.

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧).

(٢) أخرجه مسلم (٧٧١) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه مطولاً.

ويؤمن أهل السنة والجماعة أن الله يمْنُ على من يشاء من عباده بالهدایة، فضلاً منه ورحمة وكرماً، وأن الله يصل من يشاء من عباده بالهدایة، عدلاً منه تَعَالَى؛ لذلك فإن الواجب علينا أن نسير على ضوء ما قرره لنا ربنا في كتابه، وما قرره لنا نَبِيُّنَا في سنته، وألا نحُكِّم عقولنا في هذا الأمر.

ومن هنا يتبيّن أن مذهب أهل السنة والجماعة هو الحق، وأن المذاهب الأخرى مذاهب ضلال سواء منها ما هو غلو أو تقصير.

* * * *

* أما قوله: «علم كل شيء قبل كونه فجري على قدره».

* الشرح:

فنحن نقول: إن الله قادر هذه المقادير وقضائها وكتبها في اللوح المحفوظ. فقول المصنف: «علم كل شيء قبل كونه». هذا ربما يكون فيه مدخل لمن يقول: إن العباد يخلقون أفعالهم بأنفسهم، وأن الله عَلِم منهم أنهم سيعلمون ما يعلمون، ولم يكن هذا الاعتقاد خطأ بل نقول: إن الله قادر ما قدر في هذه الكائنات، وقضاه في كتابه اللوح المحفوظ -أي: كتب ما قدره-.

أما كونه «علم كل شيء قبل كونه». أي: أنه علم بكل كونه قد قدره وقضاه، ولهذا فقد ورد أن الكرام الكاتبين يكتبون ما حصل من العباد من أعمالهم القولية والفعلية، وكذلك ما انعقدت عليه قلوبهم، ثم إنهم يرجعون بعد ما يكتبون ما حصل من العباد من أعمالهم القولية والفعلية.

وكذلك ما انعقدت عليه قلوبهم، ثم إنهم يرجعون بعد ما يكتبون هذه الكتابات، فيطبقونها على ما كتب في اللوح المحفوظ، فيجدونها مطابقة لذلك أكمل

المطابقة، ثم إن للقدر أربع مراتب:

الأولى: عِلْمُ الله بِعَلَّةٍ بتقدير المقادير.

الثانية: كتابتها في اللوح المحفوظ.

الثالثة: وقوعها تحت مشيئته.

الرابعة: الخلق والإيجاد.

وينقسم القدر من حيث التفصيل في العلم والكتابة إلى أقسام:

١ - القدر العمري: وهو حينما يدخل الملك على النطفة، ويكتب ما قدر لها من شقاوة وسعادة، وما إلى ذلك، وإليه أشار ابن مسعود رضي الله عنه بقوله: حدثنا الصادق المصدوق: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمِعُ خَلْقَهُ فِي بَطْنِ أَمَّهُ أَرْبَعينَ يَوْمًا نَطْفَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلْقَةً مُثْلِذَةً، ثُمَّ يَكُونُ مَضْغَةً مُثْلِذَةً ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ فَيُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلْمَاتٍ: بِكَتْبِ رَزْقِهِ، وَأَجْلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِّيْ أُمِّ سَعِيدٍ...». الحديث^(١).

٢ - القدر الحولي: وهذا يكون في ليلة القدر، فيكتب فيها ما يحدث خلال الحول، كما قال تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤].

٣ - القدر اليومي: وهو بيان ما يخص كل يوم كما قال تعالى: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩].

٤ - القدر الأزلي: وهو المكتوب في اللوح المحفوظ، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]. وعلى هذا يكون القدر المتعلق بالكتابة أربعة أقسام: أزلي، وهو القدر العام، والعمري، والحولي، واليومي والثلاثة الأخيرة مأخوذة من الأزلي.

(١) أخرجه البخاري (٣٣٣٢)، ومسلم (٢٦٤٣).

* قوله: «يضل من يشاء فيخذله بعده ويهدي من يشاء فيوفقه بفضله».

* الشرح:

قد تقدم لنا أن الله عَزَّلَ كتب مقادير هذا الكون وقضى فيه بما قضى من شقاوة وسعادة وحياة وموت وصحة ومرض وغنى وفقر وإعزاز وإذلال وتمليك وسلب، فكل شيء قد قضاه وكتبه في لوحه المحفوظ قال عَزَّلَ: ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدْرٍ﴾.

وقال عَزَّلَ: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْرَأَهَا﴾ [الحديد: ٢٢].

وصح عن النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: «إن الله مسح ظهر آدم، فاستخرج ذريته كالذر فقبض قبضة فقال: هؤلاء إلى النار ولا أبالي، وقبض قبضة أخرى فقال: هؤلاء إلى الجنة برحمتي»^(١).

وتقدم لنا أن الله عَزَّلَ عدل لا يظلم أحداً من خلقه، كما قال تعالى - جل من قائل - : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونس: ٤٤].
وكما قال عَزَّلَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةٌ يُضَعِّفُهَا وَإِنْ تَكُ نَسْكَةٌ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠].

وقال عَزَّلَ: ﴿وَمَا رَبِّكَ يَظْلَمُ لِلْعَسِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]. إلى غير ذلك.

(١) أخرجه أحمد (٢٦٩٤٢) من حديث أبي الدرداء عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولفظه: «خلق الله آدم حين خلقه، فضرب كتفه اليمنى، فأخرج ذرية بيضاء كأنهم الذر، وضرب كتفه اليسرى، فأخرج ذرية سوداء كأنهم الحمم، فقال للذي في يمينه: إلى الجنة ولا أبالي، وقال للذى في كفه اليسرى: إلى النار ولا أبالي»، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٩).

وفي الحديث القدسي قال الله -تبارك تعلى-: «يا عبادي إني حرمت الفعلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا»^(١).

وعلى هذا فنحن نقول: إن الله وَجْهَهُ يضل من يشاء بعده فيخذله، ويخلّي بينه وبين الشيطان فيستولي عليه، ويقوده إلى نار جهنم، قال سَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَقَيَضَنَا لَهُمْ قُرْنَاءَ فَرِيَّتُمُوهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرٍ قَدْ حَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسَانِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِيرِينَ» [فصلت: ٢٥]. وقال سَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضُ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ دَرِيْنُ» [الزخرف: ٣٦].

فالإضلal قدر من الله والعبد كاسب للضلal وفاعل له باختياره وبتأثير الشيطان عليه، والله سَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعاقبه بهذا الكسب والاختيار.

«ويهدي من يشاء فيوفقه بفضله»: أي: أن الله وَجْهَهُ إذا أراد بعد خيراً يسر له من يقوده إلى الخير، وإذا أراد الله بعد شرّا خلي بينه وبين نفسه وشيطانه. وقد قال الصحابة -رضوان الله عليهم-: «أرأيت ما نعمل يا رسول الله هل هو في أمر قد فرغ منه، أم أمر مستأنف؟ فقال سَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بل في أمر قد فرغ منه. قالوا: ففيه العمل إذن يا رسول الله، أفلان تتكل على كتابنا وندع العمل؟ فقال سَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اعملوا فكل ميسر لما خلق لكم، فأهل السعادة يُسَرُّون لعمل أهل السعادة، وأهل الشقاوة يُسَرُّون لعمل أهل الشقاوة»^(٢).

اللهم إنا نستجير بك من الخذلان، ونعود بك من الانتكاس بعد الاستقامة، ومن الغي بعد الرشد، نسألك أن تثبتنا على الحق حتى نلقاك؛ لهذا قال المصنف:

(١) مر تخرجه (ص ٤٥).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٦٢)، ومسلم (٢٦٤٧) من حديث علي بن أبي طالب صَاحِبِ الْجَمِيعِ.

شرح عقيدة ابن أبي زيد القير沃اني

«فكل ميسر بتيسيره إلى ما سبق من علمه وقدره من شقي وسعيد». وكان الأولى أن يقول: «من شقاوة أو سعادة».



* ثم قال رَحْمَةُ اللَّهِ: «تعالى الله أن يكون في مُلْكِهِ مَا لَا يُرِيدُ، أَوْ يَكُونُ لِأَحَدٍ عَنْهُ غَنِيًّا».

* الشرح:

أي: أن القائلين بالقدر، وهم: القدريّة الفوّات، يتضمن قولهم أنه يقع في ملك الله ما لا يريد، وهذا مستحيل لا يكون في ملكه شيء إلا وقد أراده؛ بل سبق أن قلنا أن الله أراد الكفر، والفسق، والعصيان كونًا، ومنعه شرعاً، وأن العباد صائرون إلى ما أراده كونًا.

فالذين يقولون: إن الخير من الله، والشر من الإنسان؛ جعلوا خالقين فأشبعوا المجوس، ولزم من قولهم أن يكون في ملك الله ما لا يريد، واقتضى هذا القول أن يكون الله مغلوبًا، وهذا القول باطل، فالله تعالى يقول: ﴿وَاللَّهُ عَالِيٌّ عَلَىٰ أَمْرِهِ﴾ [يوسف: ٢١].



* قوله: «أَوْ يَكُونُ خَالِقًا لِشَيْءٍ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعِبَادِ وَرَبُّ أَعْمَالِهِمْ، وَالْمُقْدَرُ لِحُرْكَاتِهِمْ وَآجَالِهِمْ، الْبَاعِثُ الرَّسُلَ إِلَيْهِمْ لِإِقَامَةِ الْحِجَةِ عَلَيْهِمْ».

* الشرح:

قوله: «أَوْ يَكُونُ» أي: تبارك وتعالى أن يكون أحد خالق غيره سبحانه الذي هو ربُّ العباد وربُّ أعمالهم، وقد علمنا مما سبق أن الله خالق للعباد، وخالق لأعمالهم.

واستدللنا على ذلك بقوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِيُونَ ﴾ ٩٥ ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصفات: ٩٥-٩٦]. فهو الخالق لهم، والمقدر لحركاتهم وأجالهم، وأن العباد صائرون إلى ما قدره لهم وعليهم. أما من الناحية الشرعية فقد أرسل إليهم الرسل، وأنزل إليهم الكتب؛ لإقامة الحجة عليهم، وبيان الحق لهم فمن تبع الرسل وأطاعهم فقد نجا، ومن خالفهم وعمل على غير ما جاءوا به فقد هلك.

* * * *

* قوله: «ثم ختم الرسالة والندارة والتبوة بـمحمد نبيه ﷺ فجعله آخر المرسلين بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً».

* الشرح:

قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدُ أَبَا أَحَدٍ مِّنْ رِجَالِكُمْ وَلَا كَنَّ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّنَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: «مثلي ومثل الأنبياء قبلي؛ كمثل رجل بنى بنياناً فحسنه وحمله إلا موضع لبنة، فجعل الناس يطوفون بذلك البناء، ويقولون: ما أجمله لو وضع فيه تلك اللبنة؛ فأنا تلك اللبنة»^(١). أو كما قال ﷺ.

لقد مضت الرسالات في عمر البشرية، فأرسل الله رسلاً إلى أممهم فيهم من قص خبرهم، ومنهم من لم يقصص خبرهم قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْفِ

(١) أخرجه البخاري (٣٥٣٥)، ومسلم (٢٢٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

شرح عقيدة ابن أبي زيد القير沃اني

إِنَّمَا يُأْذِنُ اللَّهُ فِي أَذْجَاءِ أَمْرِ اللَّهِ قُضَىٰ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطَلُونَ ﴿[غافر: ٧٨].﴾

فنحن نؤمن بأن الله رسول قصهم على نبيه عرّفنا أخبارهم، وأخبار أممهم، وما آل إليه أمرهم، وعرفنا بأسمائهم، ونعلم أن الله أرسل رسولًا طوى أخبارهم في علم الغيب، فلم يطلع عليها أحدًا من خلقه؛ فلذلك كان خبرهم مكتوماً، وأمرهم غير معلوم.

وقد قال النبي ﷺ: «عرضت عليّ الأمم، فرأيت النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد، إذ رفع لي سواد عظيم، فظننت أنهم أمتى، فإذا هم موسى وقومه، ثم رفع لي سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب، ولا عذاب...» الحديث^(١).

أما أمة محمد ﷺ فقد جعلها الله آخر الأمم، وجعله هو خاتم الرسل وآخرهم، وجعل في علماء أمته مجذدين، يجددون للناس ما اندرس من دينهم، وجعلهم بمنزلة الأنبياء فيبني إسرائيل، وإن رسول الله ﷺ هو خاتم الرسل وأفضلهم، كما أن أولي العزم هم أفضل الرسل؛ فكذلك هو أفضل أولي العزم؛ فلهذا فهم جميعاً يترادون الشفاعة، ويرون أن مقاماتهم أقل من أن تؤهلهم لذلك؛ ويكون الرسول ﷺ هو صاحب الشفاعة العظمى التي هي المقام المحمود، وهي الشفاعة في فصل القضاء، والشفاعة الثانية في استفتاح باب الجنة.

فضله الله على غيره من الرسل، وأنزل عليه كتابه الحكيم، وقد أشار النبي ﷺ إلى ذلك بقوله: «ما من الأنبياء نبي إلا وقد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أو حاه الله إلى، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيمة»^(٢).

(١) أخرجه البخاري (٥٧٥٢)، ومسلم (٢٢٠) من حديث ابن عباس عليهما السلام.

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٨١)، ومسلم (١٥٢) من حديث أبي هريرة عليهما السلام.

والمحصود بالذى أوتته هو: القرآن ، فقد شرح رسول الله الدين ، وبينه بستته المكملة للقرآن والمفسرة له ، ويكون منها الصراط المستقيم الذى دعا الله عباده إليه بقوله: ﴿وَإِنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَنْتَعِشُوا أَسْبُلَ فَنَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ، ذَلِكُمْ وَصَنْكُمْ بِهِ، لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

* * * *

* قوله: « وأنزل عليه كتابه الحكيم، وشرح به دينه القويم، وهدى به الصراط المستقيم ». *

الشرح *

أي: أن الله عَزَّلَهُ حين أرسل نبيه محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وختم به الرسالات السماوية أنزل عليه كتابه الحكيم الذي هو القرآن، كتاب: ﴿لَا يَأْنِيهُ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، تَزَرِّيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

وهو كتاب عربي مبين، جمع الله فيه أخبار من مضى، ونبأ ما يأتي، وضرب فيه الأمثال، وبين فيه الحرام والحلال، وقد بين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما أجمل من الأوامر في القرآن كالصلوات، وأوقاتها، وعدد ركعاتها، وفرضها ونفلها، وبين فيه الزكاة المفروضة وأنصياءها.

فالسنة شارحة للقرآن، ومبينة له، ومفصلة لمجمله، ولم يتوفَ الله رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى ترك أمته على محجة بيضاء، ليتها كنهاها، لا يزيغ عنها إلا هالك، وأمرهم باتباع ما جاء به في قوله: ﴿وَإِنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَنْتَعِشُوا أَسْبُلَ فَنَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ، ذَلِكُمْ وَصَنْكُمْ بِهِ، لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ .

وقال تعالى: ﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [الفتح: ٢].

وقال تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦].

وقال تعالى: ﴿أَتَيْمُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَشْيَعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَنْتَسِبْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنِوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءَ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: ١٨ - ١٩].

فالصراط المستقيم هو الدين الذي تركنا عليه بعد أن بينه بأقواله وأفعاله - صلوات الله وسلامه عليه - وقال: «قد تركتم على بيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك»^(١).

فالزوجان عن دينه القويم هلكة لمن فعله، نعوذ بالله أن نزيغ بعد الاستقامة: ﴿رَبَّنَا لَا تُرْزِعْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا وَهَبَ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ أَوْهَابُ﴾ [آل عمران: ٨].

يوم القيمة يتحول الصراط المستقيم الذي كان في الدنيا شيئاً معنوياً، وهو الاستقامة على الحق الذي أتى به، فيتحول ذلك فيجعله صراطاً ممدوداً على جسر جهنم، من استقام على الصراط المعنوي في الدنيا، مر على الصراط الممدود على جسر جهنم بسهولة ويسر، من تلفت يمنة ويسرة، وأخذته بنيات الطريق، فإنه سينقطع به ذلك الجسر الذي هو ممدود على متن جهنم، وهو أحد من السيف، وأدق من الشعر، مزلقة مزلة وعليه كالالب تخطف الناس الذين لم يستقيموا عليه في الدنيا، وتلقفهم في نار جهنم، والعياذ بالله، اللهم إنا نسألك السلامة.

(١) رواه ابن ماجه (٤٣)، وأحمد (١٦٦٩٢) من حديث العرياض بن سارية رضي الله عنه، وصححه الألباني في الصحيحة (٩٣٧).

* قوله: «وأن الساعة آتية لا ريب فيها، كما أخبر الله، وأن الله يبعث من يموت كما بدأهم يعودون».

* الشرح:

إن الساعة آتية لا ريب فيها كما أخبر الله، وأن الله يبعث من في القبور، والله تعالى يقول: ﴿زَعْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ لَنْ يَعْثُوْلُ بَلْ وَرَقَ لَتَبْعَثُنَّ مِمَّا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧]. فالبعث كائن ولا بد إذا انقضت أيام الدنيا، وانقضت الخليقة التي أراد الله خلقها على هذه الأرض.

بعد ذلك ستكون النفخة التي يكون بها الصعق، ثم الموت، وقد قال النبي ﷺ: «لتقوم الساعة، والرجلان قد نشراثو بهما يتبايعان فلا يتعاونه ولا يطويانه، ولتقومن الساعة والرجل يلوط حوض إيله فلا يسقي فيه، ولتقومن الساعة والرجل قد حلب لقحاته فلا يشربه»^(١).

وذلك أن النفخة في الصور تعاجلهم عن هذه الأمور كلها، وكل يموت في مكانه، وتموت الملائكة أيضاً حتى حملة العرش، وجبريل، وميكائيل، وإسرافيل الذي ينفح في الصور، وملك الموت الذي يقبض الأرواح، ويأتي تأويل قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانِ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧].

ويبقى الكون مدة طويلة، الله أعلم بقدرها، ثم إذا أراد الله قيام الساعة أحيا الله إسرافيل -صاحب الصور- وجمع له الأرواح في فوهة الصور بعد أن يرسل مطرًا كمني الرجال أربعين يوماً، فينبت الناس في قبورهم وكل شيء يفنى من الإنسان إلا عجب الذئب، فهو يركب منه، فإذا تكاملوا جمع الله الأرواح في فوهة الصور.

(١) أخرجه مسلم (٢٩٥٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ثم يأمر إسراويل فينفح فيه، فتطير الأرواح إلى أجسادها، وكل روح تعرف جسدها أين هو فتأتي إليه، وتدخل فيه، ثم تنسق الأرض عنهم، فيقومون من قبورهم؛ ولهذا يقول النبي ﷺ: «أنا أول من تنسق عنه الأرض يوم القيمة، ولا فخر، فأرفع رأسي فإذا موسى بن عمران باطش بقائمة من قوائم العرش، فلا أدرى أحوزي بالصعقة أم كان ممن استثنى الله»^(١).

ثم ينادي مناد: يا أيها الناس، هلموا إلى ربكم فيتبعون ذلك المنادي، والله تعالى يقول: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَ الْقَمَرُ ۚ وَإِنْ يَرُوا إِيمَانًا يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌ ۚ وَكَذَّبُوا وَأَتَبْعَوْا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقْرٌ ۚ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِّنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزَدَّجَرٌ ۚ حِكْمَةٌ بِلَفْغَهُ فَمَا تَعْنِي النُّذُرُ ۚ فَتُولَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ لَا يُكَسِّرُ ۚ خُشَّعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَانُوكُمْ جَرَادٌ مُّنْتَشِرٌ ۚ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَيْرٌ﴾ [القمر: ١-٨].

وقال الله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَبَعَوْنَ الدَّاعِيَ لَا يَعْوَجُ لَهُ وَحَشَّعَتِ الْأَصْوَاتُ لِرَحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٨]. وإلى غير ذلك من الآيات الدالة على قيام الساعة.

فقيام الساعة أمر لابد منه، وحيثئذ يقفون موقفاً طويلاً تدنو منهم الشمس، ويعلوهم العرق، ويشتد الكرب من هول ذلك اليوم الذي وصفه الله تعالى بقوله: ﴿فَكَيْفَ تَنْقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْأَوْلَادَ شِبَابًا ۖ الْسَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ، كَانَ وَعْدُهُ مَقْعُولاً﴾.

ثم إن الله تعالى بعد زمن طويل يأمر بفصل القضاء بعد شفاعة نبينا محمد ﷺ، فينادي الله آدم: أن أخرج بعث النار من ذريتك، فيقول: من كم يا رب؟ فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون^(٢). نسأل الله السلامة.

(١) أخرجه البخاري (٢٤١١)، ومسلم (٢٣٧٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٣٠)، ومسلم (٢٢٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

هذه هي الساعة، وهذه بعض صفاتها، وحيثئذ يتفرق الناس، فريق في الجنة، وفريق في السعير، يتفرقون تفرقًا لا لقاء بعده، اللهم سلمنا فيمن تُسلم يا رب العالمين.



* قوله: «وَأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ ضَاعِفٌ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الْحَسَنَاتِ، وَصَفْحٌ لِهِمْ بِالْتُّوْبَةِ عَنْ كَبَائِرِ السَّيِّئَاتِ، وَغَفْرَانٌ لِهِمْ الصَّغَائِرِ بِاجْتِنَابِ الْكَبَائِرِ، وَجَعْلٌ مِنْ لَمْ يَتَبَّعْ مِنَ الْكَبَائِرِ صَائِرًا إِلَى مَشِيتَتِهِ حَيْثُ قَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكَ بِاللَّهِ فَقَدْ أَفْرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].»

* الشرح:

أراد المصنف رَحْمَةَ اللَّهِ أَنْ يبيّن ما فعله الله لعباده المؤمنين من مضاعفة الحسنات، حيث جعل الحسنة عشر أمثالها، إلى سبعماة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، أما السيئة فهي بمثتها واحدة أو يعفو، ومن هُم بحسنته ولم ي عملها كتبت له حسنة، ومن هُم بسيئة ولم ي عملها لم تكتب عليه شيئاً، وهذا من رحمة الله بعباده. وجعل الإثبات بالفرائض مع اجتناب الكبائر مكفرًا للصغار، وقد قال النبي ﷺ: «أرأيتم لو أن بباب أحدكم نهرًا يغتسل منه كل يوم خمس مرات، أيبقى من درنه شيء؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيء. قال: فإن مثل ذلكم كمثل الصلوات الخمس؛ يكفر الله بهن الخطايا»^(١). لكن من عمل كبيرة من موجبات دخول النار، فسترها الله عليه، فأمره إلى الله إن شاء عفا عنه، وإن شاء عذبه، أما إن اقترف حدًّا وأقيم عليه، فإن الحد يكون كفاره له.

(١) أخرجه البخاري (٥٢٨)، ومسلم (٦٦٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقد بيّن لنا تَعَالَى أنه يغفر جميع الذنوب ما عدا الشرك بالله، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرِكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكَ بِاللَّهِ فَقَدْ أَفْرَأَ إِثْمًا عَظِيمًا﴾.

فأصحاب الكبائر مصيرهم إلى مشيئة الله تَعَالَى، أما من مات وهو يشرك بالله عَجَّلَ فهو لابد أن يكون من أهل النار، فالمرشك شركاً أكبر محروم عليه دخول الجنة، ومحتم عليه دخول النار، كما قال تَعَالَى على لسان عيسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الظَّالِمُونَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرِيمٍ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنُنِي إِسْرَائِيلَ أَعْبُدُهُ وَاللَّهُ رَبِّي وَرَبُّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكَ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَآوِيَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]. اللهم سلم سلم.



* قوله: «ومن عاقبه بناره أخرجه منها بإيمانه فأدخله به جنته، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِتْقَالَ دَرَرٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٨-٧] ومن يعمر مثقال دررة شرًا يرها» [الزلزلة: ٨-٧] ويخرج منها بشفاعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من شفع له من أهل الكبائر من أمتة».

* الشرح:

قوله: «ومن عاقبه بناره ...» إلخ. المقصود به أهل الكبائر من الموحدين، إذ إن أهل الكبائر من الموحدين تحت المشيئة، فالله تَعَالَى أخبر في كتابه أن اجتناب الكبائر موجب لمغفرة ما دونها، فقال -جل وعلا-: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا نُهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلُكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١].

وفي الحديث: «الصلاوة إلى الصلاة، ورمضان إلى رمضان، والحج إلى

الحج، والعمرة إلى العمرة كفارات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر»^(١).

هذه أدلة تدل على أن من اجتب الكبائر أن الله يغفر له ما دونها بأدائه الفرائض، وما يتعلق بها كالطهارة، والمشي إلى المساجد، وانتظار الصلاة، وما أشبه ذلك.

أما من لقي الله مصرًا على الكبائر، ومعه أصل الإيمان، وأصل التوحيد الذي يصح به الإسلام، فإن أمره إلى الله: إن شاء عفا عنه، وأدخله الجنة بدون عذاب، وإن شاء عاقبه في النار ليظهره من ذنبه، ثم أخرجه منها وأدخله الجنة.

وقد توالت الأخبار عن النبي ﷺ أن أقوامًا من أمته يتلقون من فوق الصراط، تخطفهم الكلاليب المعلقة من فوقه فترميهم في نار جهنم، وأن النار تحرق منهم كل أجسادهم ما عدا مواضع السجود، فإذا شاء الله ﷺ أن يخرجهم منها أذن للشفاعة فيدخلون عليهم فيجدونهم قد صاروا حممًا، ولا يعرفونهم إلا بمواضع السجود، فيخرجونهم منها ويضعونهم على نهر الحياة - نهر في أفواه الجنة - فينبتون فيه كما تنبت الحبة في حميل السيل، وردت بذلك أحاديث كثيرة. وأن النبي ﷺ يشفع وسائر الأنبياء يشفعون، وكذلك الصديقون، والشهداء، والصالحون كلهم يشفعون، وأن الله يخرج من النار ثلاث حثيات بفضله، وأنه يخرج من النار أقواماً لم يعملا خيراً قط، فيسكنهم جنته، ومع ذلك يبقى فيها فضل فيخلق الله أقواماً ثم يسكنهم فيها.

وهذه عقيدة أهل السنة والجماعة، وخالفت في ذلك الخوارج والمعزلة

(١) أخرجه مسلم (٢٣٣)، ولفظه: «الصلوات الخمس، وال الجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر».

وأخرج البخاري (١٧٧٣)، ومسلم (١٣٤٩): «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة».

شرح عقيدة ابن أبي زيد القير沃اني

فأنكروا الشفاعة، وأنكروا خروج الموحدين من النار، وزعموا أن من دخل النار أنه لا يخرج منها، والذي أوقعهم في ذلك الجهل؛ حيث إنهم حملوا الآيات الواردة في الكفار على المسلمين الموحدين، كقوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَرِّيجٍ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]. وكقوله تعالى: ﴿فَدُوْقُوا فَلَن تَرِيدُكُم إِلَّا عَذَابًا﴾ [النَّبِيَّ: ٣٠]. إلى غير ذلك من الآيات التي قُصد بها الكفار؛ فأخذطوا في ذلك خطأً فاحشًا؛ ترتب عليها مخالفات في العقيدة، استحقوا فيها مقت الله وغضبه؛ لأنهم ردوا السنة بالكلية، أو ردوا ما عدا المتواتر من السنة كالمعتزلة.

والحقيقة أن ما أخبر عنه النبي ﷺ من أخبار فهي كائنة ولا بد، والله قد شهد لرسوله بأنه لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، وقال ﷺ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمْ الْمَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]. وسواء في ذلك الأوامر والنواهي، أو الأخبار الغيبة، فكل ما أخبر عنه النبي ﷺ من المغيبات وجب الإيمان به، واعتقاد صدقه وأحقيته.

ومهم أن الذي أوقعهم في ذلك هو تكذيبهم للسنة، فهلكوا بسبب تكذيبهم لسنة رسول الله ﷺ.



* قوله: «وَأَنَّ اللَّهَ سَبَحَانَهُ قَدْ خَلَقَ الْجَنَّةَ فَأَعْدَاهَا دَارُ خَلْوَدٍ لِأُولَائِهِ، وَأَكْرَمَهُمْ فِيهَا بِالنَّظَرِ إِلَيْهِ وَجْهِهِ الْكَرِيمِ». *

الشرح:

الجنة والنار أخبر الله ﷺ عنها في كتابه؛ بل في جميع كتبه، وأبدى في ذلك وأعاد وأخبر أنه خلق الجنة نزلاً لأوليائه وأهل طاعته، أكرمهم فيها بما شاء من

الكرامات، وأنه خلق النار وأعدها دار هوان ونkal لأعدائه قبل أن يخلق السموات والأرض.

A horizontal decorative element consisting of five stylized, symmetrical floral or star-shaped motifs arranged side-by-side.

* قوله: «وأكر مهم فيها بالنظر إلى وجهه الكريم».

الشرح:

أي: أكرمهم في الجنة بالنظر إلى وجهه الكريم، والنظر إلى وجهه الكريم ثابت بالكتاب والسنة، فالأدلة من الكتاب هي قول الله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]. فالنصرة في الآية الأولى هي الرونق والحسن والنعيم، وأما في الآية الثانية فعداها بـ «إلى» المراد به النظر إلى وجهه ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾.

ومن الأدلة على ذلك قول الله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْخُسْنَى وَزِيَادَةً﴾ [يونس: ٢٦]. فقد فسرت الزيادة بأنها النظر إلى وجهه الكريم، هكذا فسر الآية بذلك جماعة من السلف، وأهل السنة يثبتون ذلك باتفاق منهم عليه.

أما الأدلة من السنة، ففي ذلك أحاديث منها:

حديث جرير بن عبد الله البجلي قال: «كنا عند رسول الله ﷺ في ليلة مقرمة، فقلنا: يا رسول، هل نرى ربنا يوم القيمة؟ قال: هل تضامون^(١). - وفي رواية^(٢): هل تضارون - برأة القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟ قلنا: لا. قال: وهل تضامون - أو قال: تضارون - في رؤية الشمس في الظهرة ليس دونها سحاب؟ قلنا: لا. قال: فإنكم لا تضامون في رؤيته. - أو قال: لا تضارون - في رؤيته إلا كما لا تضارون في رؤيتهما». أو كما قال ﷺ.

وهناك أحاديث عن غير جرير فمنها حديث أبي هريرة^(٣) أورده ابن أبي عاصم في كتابه السنة، ومنها حديث أبي رزين - وهو لقيط بن عامر العقيلي - وحسنه الشيخ الألباني في تحقيقه لكتاب السنة^(٤).

* * * *

* قوله: «وهي التي أهبط منها آدم نبيه وخليفته إلى أرضه لما سبق في سابق علمه».

* الشرح:

إن من أهل العلم من قال: إن الجنة التي كان فيها آدم هي الجنة المعروفة التي خلقها الله للمؤمنين.

(١) أخرجه البخاري (٥٥٤).

(٢) عند البخاري (٦٥٧٣)، ومسلم (١٨٢، ١٨٣).

(٣) هو في الصحيحين في مواضع التخريج السابق.

(٤) انظر: ظلال الجنة في تخريج السنة (١/٢٢٧، ٢٢٨)، برقمي (٤٥٩، ٤٦٠).

ومن أهل العلم من قال: إنها جنة غيرها، والقول الأول هو الأصح؛ بدليل أن موسى عليه السلام لما لقي آدم وحاجه بقوله: «أنت أبونا آدم الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه؟ فما حملك أن أخرجتنا ونفسك من الجنة؟» قال له آدم: أنت موسى الذي كلّمك ربّك من وراء حجاب، لم يجعل بينك وبينه رسولًا من خلقه؟ وأنزل عليك التوراة؟ قال: نعم. قال: فما وجدت ذلك في كتاب الله، أن ذلك كائن من قبل أن أخلق؟ قال: نعم. قال: ففيّم تلومني؟! في شيء قد كتبه الله عليّ قبل أن يخلق السموات والأرض فحج آدم موسى -عليهما السلام-^(١). وهذا الدليل كافٍ في أن الجنة التي أهبط منها هي الجنة التي يدخل فيها المؤمنون بإقرار الله تعالى لموسى في قوله: «فَلِمَ أَخْرَجْنَا وَنَفْسَكَ مِنَ الْجَنَّةِ؟». فلو كان جنة غير الجنة المعروفة لما كانت لمحاجة موسى فائدة.



* قوله: «وَخَلَقَ النَّارَ، وَأَعْدَهَا دَارَ خَلُودٍ لِمَنْ كَفَرَ بِهِ وَالْحَدِّ فِي آيَاتِهِ وَكَتْبِهِ وَرَسُلِهِ، وَجَعَلَهُمْ مَحْجُوبِينَ عَنْ رَؤْيَتِهِ».

* الشرح:

ما ذكره صاحب العقيدة هنا قد وردت فيه آيات كثيرة تدل على خلود الكفار في النار، فمن ذلك قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارٌ جَهَنَّمُ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخْفَفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ بَخْزِي كُلَّ كَافُورٍ﴾ ^(٢) وَهُمْ يَضْطَرِّحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَنْلِحًا غَيْرَ الَّذِي كَنْتَنَا نَعْمَلْ أَوْلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا

(١) أخرجه البخاري (٣٤٠٩)، ومسلم (٢٦٥٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٣٦﴾ [فاطر: ٣٦-٣٧].

وَقَالَ رَبُّكُمْ: «وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ أَدْعُوكُمْ يُخْفَفَ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوا أَوْلَمْ تَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْ بَيْنَ أَيْمَانِنَا قَالُوا فَإِنَّا دَعَوْنَا وَمَا دَعَنَا إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَصَرْنَا رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُولُونَ أَشْهَدُونَ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ» [غافر: ٤٩-٥٢].

وَقَالَ رَبُّكُمْ: «وَنَادَوْا يَمَنِيلَكُ لِيَقْضِي عَلَيْنَا رَبَّكُ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّكُمْ مَنْكُنُونَ لَقَدْ حِشْنَكُو بِالْحَقِّ وَلَنْكُنْ أَكْثَرُكُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ» [الزخرف: ٧٧-٧٨].

وَقَالَ تَعَالَى: «وَمَنْ خَفَتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ حَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَلِيلُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفُعُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالْمَحُونَ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا تَكُونُ مَا يَنْتَقِي ثُلَّتُكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبْتَ عَلَيْنَا شَقَوْتَنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرَجْنَا مِنْهَا فَإِنَّ عُدُّنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ أَخْسَرُوا فِيهَا وَلَا تُحْكَمُونَ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنَّ خَيْرُ الرَّاجِحِينَ ﴿١٠٩﴾ فَأَخْنَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيَّنَاهُنَّ أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضَعَّفُونَ ﴿١١٠﴾ إِنَّ جَزِيَّتَهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَاسِدُونَ» [المؤمنون: ١٠٣-١١١]. إن هذه الآيات لأعظم دليل على ما ذكره المصنف من خلود أهل النار فيها، وأنهم كانوا محجوبين عن رؤيته في الآخرة.



* قوله: «وَأَنَّ اللَّهَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالْمَلَكُ صَفَا صَفَا لِعَرْضِ الْأَمْمِ وَحِسَابِهِمْ وَعِقَوبَتِهَا وَثُوابَهَا».

* الشرح:

الدليل على ذلك قول الله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفَا صَفَا﴾ [الفجر: ٢٢].
فأهل السنة يؤمنون بأن الله يأتي يوم القيمة لمحاسبة عباده وجزائهم، إذ إن الله يجْلِّي يجمع الناس جميعاً: الإنس والجن في صعيد واحد ينفذهم البصر، ويسمعهم الداعي، وتندو الشمس منهم، ويكونون في العرق على قدر أعمالهم، يقفون موقفاً طويلاً، وتنزل ملائكة السماء الدنيا، فتكون صفاً من ورائهم، وملائكة السماء الثانية ف تكون صفاً، وملائكة السماء الثالثة، وهكذا تكون الملائكة صفوفاً من وراء الناس، فيقفون موقفاً طويلاً، ثم يفزعون، فيطلبون من يشفع لهم إلى ربهم، فيذهبون إلى آدم، فيقول: لست لها، اذهبوا إلى نوح، فيذهبون إلى نوح، فيقول: لست لها، اذهبوا إلى إبراهيم. فيذهبون إلى إبراهيم، فيقول: لست لها، اذهبوا إلى موسى. فيذهبون إلى موسى فيقول: لست لها، اذهبوا إلى عيسى. فيقول: لست لها، اذهبوا إلى محمد.

فإذا جاءوا إلى النبي ﷺ قال: «أنا لها، أنا لها، فيذهب إلى ربه، فيسجد بين يديه قدر جمعة، ويفتح الله عليه بمحامد يحمده بها، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع، واسفع تشفع. فحيث ذيرفع رأسه ويقول: ربِّي أمتِي»^(١). فيأمر الله بفصل القضاء، ويجيء كما يشاء، وعلى الوجه اللاقى بجلاله، قال تعالى:

(١) انظر: صحيح البخاري (٤٤٧٦، ٦٥٦٥، ٧٤١٠، ٧٤٤٠) وموضع آخر، وصحيح مسلم (١٩٣، ١٩٤، ١٩٥).

شرح عقيدة ابن أبي زيد القير沃اني

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي ظُلْلٍ مِّنَ الْفَكَارِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [البقرة: ٢١٠].

فأهل السنة والجماعة يؤمدون بأنه يجيء كما يشاء، وحيثئذ يحاسب الناس على أعمالهم، فتوضع الموازين، وتنشر الصحف، قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّكَةٍ مِّنْ خَرَدِ لِأَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَسِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

ويؤمن من أهل السنة بالموازين فتوزن الأعمال أي: توزن دواوين الأعمال، فدواوين الحسنات توضع في كفة، ودواوين السيئات توضع في كفة، ويوزن أيضاً الأشخاص؛ والدليل على ذلك قول النبي ﷺ: «يؤتني بالرجل السمين الأكول الشروب، فلا يزن عند الله جناح بعوضة»^(١).

ولما صعد عبد الله بن مسعود يجتني سواكًا، وجعل الصحابة ينظرون إلى دقة ساقه فيضحكون، فقال النبي ﷺ: «أتعجبون من دقة ساقيه، أما إنهما في الميزان لأنقل من جبل أحد»^(٢).



(١) أخرجه البخاري (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥)، بلفظ: «إنه ليأتي بالرجل العظيم السمين يوم القيمة،

لا يزن عند الله جناح بعوضة وقال: أقرءوا إن شتم: ﴿فَلَا تُنْقِمُ هُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾ [الكهف: ١٠٥].

(٢) أخرجه أحمد (٣٩٨١)، وحسنه الألباني في الإرواء (١٠٤ / ١).

* قوله: «فَمَنْ ثُقِلَتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» والآية بعدها: «وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ حَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَلِدُونَ» [المؤمنون: ١٠٣]. وفي هاتين الآيتين دليل على أن الأعمال توزن، أي: دواوين الأعمال كما في حديث البطاقة.

* قوله: «وَيُؤْتُونَ صَحَافَهُمْ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمَنْ أُوتَى كِتَابَهُ بِيمِينِهِ فَسُوفَ يَحْسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا، وَمَنْ أُوتَى كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَأُولَئِكَ يَصْلُونَ سَعِيرًا».

* الشرح:

للميزان كفتان: كفة للحسنات، وكفة للسيئات، وقد أخبرنا الله تعالى بأن كل إنسان معه قرينان يكتبه أعماله، قال -جل وعلا-: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا إِلَّا نَسَنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسِّعُ بِهِ نَفْسُهُ، وَمَنْ أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ١٦ إِذْ يَنْلَقِ الْمُتَلْقِيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَائِلِ قَعِيدٌ ١٧ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَيْدٌ» [ق: ١٦-١٧].

فإذا كان يوم القيمة نزل على الشخص الموكلان به، فصاحب الحسنات معه ديوان الحسنات، وصاحب السيئات معه ديوان السيئات، ثم توضع الدواوين بعد أن توضع الصحف، فالمؤمنون توضع صحائفهم في أيديهم ومن أمائهم، وال مجرمون توضع صحائفهم في شمائهم، ومن وراء أظهرهم، وكل منهم يقرأ ما في صحفته.

قال تعالى: «وَكُلَّ إِنْسَنٍ أَلْزَمْنَاهُ طَبِيرٌ فِي عُنْقِهِ وَخَرُجَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَئُهُ مَنْشُورًا ١٢ أَقْرَأَ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا» [الإسراء: ١٣-١٤].

وهذه الدواوين توضع في كفتي الميزان، فمن رجحت حسناته على سيئاته كان من الناجين، ومن رجحت سيئاته على حسناته كان من الموبقين، قال تعالى: «وَنَضَعُ

الْمَوْزِينَ الْقُسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَنْ كَانَ مِنْكُمْ حَتَّىٰ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيبَنَ [الأنبياء: ٤٧].



* قوله: «وَأَنَّ الصِّرَاطَ حَقٌّ يَجُوزُهُ الْعِبَادُ بِقَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، فَنَاجَوْنَ مُتَفَاعِلَوْنَ فِي سُرْعَةِ النَّجَاهَةِ عَلَيْهِ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، وَقَوْمٌ أَوْبَقْتُهُمْ فِيهَا أَعْمَالَهُمْ».

* الشرح:

الصراط: اسم للطريق الذي رسمه الله للناس في كتابه، وعلى لسان رسوله، وكذلك في الكتب الأولى، والأمم الأولى، وعلى السنة رسّلهم، فالله تعالى الله عنده رسم لنا طريقاً مستقيماً، وأمرنا أن نسير عليه قال تعالى الله عنده: «وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَنْتَهِوا أَشْبُلُ فَنْدَرَقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ» [الأنعام: ١٥٣].

وقال تعالى الله عنده أمراً عباده أن يدعوه بالهدایة إلى الصراط المستقيم، فقال في سورة الفاتحة: «هُنَّا هُدِّنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ① صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْقَطْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرَ المَغْصُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ» [الفاتحة: ٦-٧].

وقال تعالى الله عنده: «إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ① لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقْدَمَ مِنْ ذَنِبِكَ وَمَا تَأْخَرَ وَيُتَمَّنِعْمَتُهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ② وَيُنَصِّرَكَ اللَّهُ نَصْرًا أَعْزِيزًا» [الفتح: ١-٣].

وقوله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَنٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنَّا إِلَيْكُمْ نُوَرٌ مُبِينٌ ③ فَامَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَأَعْصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخَلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيْهُمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا» [النساء: ١٧٤-١٧٥]. إلى غير ذلك من الآيات.

والنبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول حينما خط خطأً مستقيماً، وخط خطوطاً على جنبتيه، وقال: «ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً، وعلى جنبتي الصراط خطوطاً عليها ستور

مرخاة، وعلى كل خط منها شيطان يدعو إليه...» الحديث^(١).

فهذا الصراط هو الذي أشار إليه بقوله: «تركتكم على بيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك»^(٢).

فهو الطريق الواضح الذي رسمه ﷺ لأمته بأقواله، وأفعاله، وجهاده، فمن استقام على هذا الصراط فإنه سيمر على الصراط الآخروي؛ وذلك أن الصراط المعنوي في الدنيا جعله الله ﷺ صراطاً حسياً، ونصبه على نار جهنم، فلا يمكن لأحد أن يصل إلى الجنة إلا بعد المرور عليه.

وقال ﷺ: «وَإِنْ مَنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتَّمًا مَقْضِيًّا ٧١ ۝ ثُمَّ تُنْجَى الَّذِينَ أَتَّقَوا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا حِيتَانًا» [مريم: ٧١-٧٢].

وقد أخبر النبي ﷺ أن الصراط الآخروي: جسر ممدود على متن جهنم، أحد من السيف، وأدق من الشعر، وأن الناس يقطعونه بأعمالهم، فمن استقام على الصراط المعنوي في الدنيا أعاذه الله ﷺ، وقطع ذلك الصراط.

وقد أخبر النبي ﷺ أن الناس يختلفون في السرعة عليه، فممن يمر كالبرق، وكلمعبصر، وكالرياح، وكأجاويد الخيل، وكصعي الرجال، ومنهم من يمشي، ومنهم من يهرول، ومنهم من يكون له شمعة على ظفر إباهام قدمه اليمني تشع تارة، فيتقدم، وتنطفئ فيقف، ومنهم من يزحف على بطنه تلفحه النار من هاهنا وتلفحه من هاهنا حتى يقطعها، كل هذا سيحصل.

وكثير من الناس يسقطون من فوقه، ومن فوقه كلاليب كشوك السعدان، غير

(١) أخرجه أحمد (١٤٨٥٣)، وابن ماجه (١١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وصححه لغيره الألباني في ظلال الجنة (١٦).

(٢) تقدم تخریجه (ص ٥٤).

أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم، فتلقيهم في نار جهنم، وإنما يمر على الصراط أمة الإجابة الموحدون أما المشركون، والكفار، والمنافقون نفاقاً اعتقادياً فهم مع أنواع الكفار يساقون إلى النار سوقاً، ويدخلون من أبوابها كما قال الله ﷺ: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجَمَعِينَ ﴾٤٣﴾ [الحجر: ٤٣].

وقال ﷺ: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمْ رُمْرِمًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتُحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ حَزَنَتْهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رَسُولٌ مِنْكُمْ يَتَلَوَّنَ عَلَيْكُمْ إِيمَانُكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمَكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ لِكُمْ الْحُكْمُ عَلَى الْكُفَّارِ ﴾٧١﴾ [آل عمران: ٧١-٧٢].

وال مهم، أن الصراط إنما يمر عليه أمة الإجابة، أما الكفار الصراخاء، والمشركون شركاً أكبر، والملحدون، والمنافقون نفاقاً اعتقادياً، فإنهم يساقون إلى النار سوقاً، اللهم إنا نعوذ بك من أن نضل أو نُضَلَّ، نعوذ بك من خسران الدنيا والآخرة، ونسألك الثبات على الحق كما وفقتنا إليه، نسألك أن تثبتنا عليه.

* * * *

* قوله: «والإيمان بحوض رسول الله ﷺ ترده أمه لا يظمه من شرب منه، ويزاد عنده من بدأ وغيره».

* الشرح:

قد أخبر النبي ﷺ أن له حوضاً آنيته أكثر من عدد نجوم السماء، فقد روى ابن أبي عاصم في كتاب السنة، من طريق أبي بكر بن أبي شيبة، عن عبد الله بن الصامت، عن أبي ذر قال: قلت: «يا رسول الله ما آنية الحوض؟» قال: «والذي

نفسي بيده لأنّيته أكثر من عدد نجوم السماء، وكواكبها في الليلة المظلمة المصحية؟ من شرب منه لم يظمه، عرضه مثل طوله، ما بين عُمان إلى أيلة؟ وما فيه أشد بياضاً من اللبن، وأحلٍ من العسل»^(١).

وروى أيضاً بسنده إلى أبي الوازع، وهو: جابر بن عمرو، أنه سمع أبا بزرة الإسلامي يقول: «ما بين فاحتتي حوضي كما بين أيلة إلى صنعاء، مسيرة شهر، عرضه كطوله فيه ميزابان يشخban من الجنة، من ورق ذهب، أبيض من اللبن، وأحلٍ من العسل، فيه أباريق عدّ نجوم السماء»^(٢).

وروى من طريق أبي بكر بن أبي شيبة أيضاً، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال: «إن لي حوضاً طوله ما بين الكعبة إلى بيت المقدس أبيض من اللبن، آنيته عدد النجوم، وإن لأكثر الأنبياء تبعاً يوم القيمة»^(٣).

وأورد حديثاً عن حذيفة، قال: «حوض النبي ﷺ أبيض مثل اللبن، وأحلٍ من العسل، وأبرد من الثلج، وأطيب ريحًا من المسك...» الحديث^(٤).

وروى من طريق ابن أبي شيبة، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أمامكم حوضاً كما ما بين جرباء وأذرح»^(٥).

وأخرج عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، ويزيد بن الأختنس وحارثة: رجلٌ من

(١) السنة، لابن أبي عاصم (١٧/٢)، وصححه الألباني في ظلال الجنة (٧٢١).

(٢) السنة، لابن أبي عاصم (١٨/٢)، وقال الألباني في ظلال الجنة (٧٢٢): جيد.

(٣) السنة، لابن أبي عاصم (١٨/٢)، وصححه الألباني في ظلال الجنة (٧٢٣).

(٤) السنة، لابن أبي عاصم (١٩/٢)، وحسنه الألباني في ظلال الجنة (٧٢٤).

(٥) السنة، لابن أبي عاصم (٢٠/٢)، وصححه الألباني في ظلال الجنة (٧٢٦).

خزاعة، سمع النبي ﷺ يقول: «إن ما بين حوضي ما بين مكة وصنعاء»^(١). وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي»^(٢). والمهم: أن حوض النبي ﷺ ثابت من أوجه صحيحة لا شك فيها، وأنه يشرب منه المؤمنون، ويذاد عنه أهل النفاق، وفي الحديث: «بينما أنا قائم على حوضي إذ أقبل رجالٌ من أمتي أعرفهم، حتى إذا همت أن أناولهم، خرج رجل من بيني وبينهم، وقال: هلّم. فأقول: إلى أين؟ فيقول: إلى النار والله، فأقول: إنهم من أصحابي، فيقول: إنك لا تدرى ما أحذثوا بعدهك، فإنهم لم يزالوا منحرفين على أعقابهم منذ فارقتهم»^(٣).

وفي رواية: «إنهم بدلوا بعدهك. فأقول: سحقاً سحقاً لمن بدل بعدي»^(٤).



* قوله: «وأن الإيمان قول باللسان، وإخلاص بالقلب، وعمل بالجوارح، يزيد بزيادة الأعمال، وينقص بنقصها، فيكون فيها النقص وبها الزيادة، ولا يكمل قول الإيمان إلا بالعمل، ولا قول وعمل إلا بنيّة، ولا قول ولا عمل ونية، إلا بموافقة السنة».

* الشرح:

ما قاله القيروانى رحمه الله هو قول أهل السنة والجماعة: أن الإيمان يكون

(١) السنة، لابن أبي عاصم (٢٣/٢)، وصححه الألباني في ظلال الجنة (٧٣٠).

(٢) السنة، لابن أبي عاصم (٢٤/٢)، وصححه الألباني في ظلال الجنة (٧٣١).

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (٦٥٨٤) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه، ومسلم (٢٢٩٥) من حديث أم سلمة رضي الله عنها.

بثلاثة أمور: عقيدة القلب، ونطق اللسان بما اعتقاده القلب، وعمل الجوارح بما يقتضيه الإيمان، فلا يصح الإيمان إلا أن يكون هكذا.

وقد نهى الله تعالى على المنافقين وعابهم وتوعدهم بالعذاب الأليم، إذ كانوا يقولون بألستهم ما ليس في قلوبهم، فالله تعالى يقول: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا شَهَدْتُمْ إِنَّكُمْ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكُمْ لَكَذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١].

وقد ذم الله المنافقين في سورة البقرة، وفي سورة الأحزاب، وأما سورة براءة

فإنها تسمى: الفاضحة؛ لأنها فضحت المنافقين، وكشفت عما كانوا يكتونه، وكما

أنه لا يكفي النطق باللسان مع عدم اعتقاد القلب فكذلك لا يكفي التصديق

بالقلب ما لم يصدقه اللسان والعمل، فقد عاب الله فرعون وقومه بأنهم جحدوا

برسالة موسى كبراً وتعاظماً، مع أنهم استيقنوا بها بقلوبهم، فقال تعالى عنهم: ﴿لَوْ جَحَدُوا بِهَا وَأَسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعَلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَنْقِيَّ الْمُقْسِدِينَ﴾ [النمل: ١٤]. إذن

فلا بد من توافق القلب واللسان والعمل.

فأما القلب فوظيفته الاعتقاد والتصديق، وأما اللسان فوظيفته النطق بما

يُطلب منه النطق به، وقد قال النبي ﷺ: «من شهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه

دخل الجنة»^(١).

فجعل استيقان القلب شرطاً في صحة النطق، كما أن النطق يجب أن يكون إعلاناً لما اعتقاده القلب، كما سبق لنا أن الله ذم المنافقين بأنهم يقولون خلاف ما يعتقدون، فمن عرّف الإيمان بأنه: التصديق كمرجئة الجهمية، فتعريفه باطل، ومن عرّفه بأنه التصديق بالقلب والنطق باللسان.

(١) أخرجه مسلم (٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وأخرج العمل كمرجئة الفقهاء فهو أيضاً تعريفه للإيمان غير صحيح، والمهم في الإيمان أن يتواطأ عليه القلب، واللسان، وعمل الخوارج بما تقتضيه تلك الشهادة -أي: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله- فمن شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فلابد أن ي عمل بمقتضى هذه الشهادة، فيقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويصوم رمضان، ويحج البيت، ويجتنب المحرمات من سفك الدماء المحرمة، وإزهاق الأرواح المحرمة، واستحلال الفروج المحرمة؛ فمن فعل ذلك فهو مسلم.

والمهم أن الإيمان هو ما يتواطأ عليه القلب واللسان، ولا بد أن يكون في عمله هذا موافقاً للسنة فمن عمل بخلاف السنة، بأن ابتدع في الدين بداعاً، فإن عمله لا يقبل حتى يكون خالصاً صواباً؛ أي: خالصاً لله، صواباً على ما شرعه الله على لسان نبيه ﷺ.



* قوله: « وأنه لا يكفر أحد بذنب من أهل القبلة ».

* الشرح:

التكبير بالذنب هو طريقة الخوارج والمعتزلة، أما المرجئة فإنهم يقولون: لا يضر مع الإيمان ذنب، بعكس ما عليه الخوارج والمعتزلة، فالخوارج يكفرون بالكبيرة، ويحكمون على فاعلها بالتلخيد في النار، والمعتزلة يوافقون الخوارج في أن صاحب الكبيرة يخلد في النار؛ ولكنهم يقولون: هو في الدنيا في متزلة بين المتزلتين -أي: لا مسلم ولا كافر -.

أما المرجئة فيقولون: إن الإيمان هو التصديق، وهو واحد لا يتفاوت، ولا يزيد، ولا ينقص، ويزعمون أن إيمان أفسق الناس هو كإيمان أبي بكر وعمر سواء، وهذا

قول باطل، وقد صرخ القرآن بزيادة الإيمان، فقال ﷺ: ﴿وَمِزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ [المدثر: ٣١].

وقال: ﴿لِيَزَدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِم﴾ [الفتح: ٤].

وقال: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ أَهْتَدَوْا هُدًى﴾ [مريم: ٧٦].

وفي حديث حنظلة حينما مر على أبي بكر رضي الله عنه فقال: «يا أبا بكر نافق حنظلة، قال: وما ذاك. قال: نكون عند النبي ﷺ فنسمع منه فيزداد إيماناً حتى تكون الجنة والنار كأنهما رأيُ عين، فإذا رجعنا إلى أهلينا فعاافستنا النساء، وبasherنا الضّياعات، ولاعبنا الأولاد نقص إيماناً».

قال أبو بكر: والله إننا لنجد ذلك، فانطلقنا إلى رسول الله ﷺ فقال حنظلة: نافق حنظلة يا رسول الله. قال: وما ذاك. قال: إننا نكون عندك فتصف لنا الجنة والنار حتى كأنهما رأي عين، ثم نرجع إلى أهلينا ... - الحديث -.

قال النبي ﷺ: لو أنكم تكونون على الحال التي تكونون عليها عندي دائمًا، لصاحتكم الملائكة في طرقكم، وعلى فرشكم ولكن ساعة وساعة يا حنظلة»^(١).

وال مهم أن أهل السنة والجماعة لا يكفرون أحدًا من أهل القبلة بذنب؛ لأن الله قال في المتقاتلين: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَاصْبِرُوهُمْ بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠].

وقال - لما قال قائل لمن شرب الخمر -: «لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به. قال له النبي ﷺ: لا تكونوا عوناً للشياطين على أخيكم»^(٢).

(١) أخرجه مسلم (٢٧٥٠) من حديث حنظلة الأسيدي رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٦٧٨١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فسماه أخا وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَمَنْ عَفَى لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَإِنَّمَا يُعَذَّبُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءَ إِلَيْهِ بِإِحْسَانِهِ» [البقرة: ١٧٨]. فسمى القاتل أخا للمقتول، فهذا يدل على أن المسلم لا يكفر بالذنب وإن كان كبيرة.

ومما يدل على تفاوت أهل الإيمان فيه أحاديث الشفاعة، وأحاديث الحوض، وأحاديث الصراط، إذ إن بعضهم يمر على الصراط كالبرق، وكلم乎 البصر، وكالريح، وكجري الخيل، وكصعي الرجال، ومنهم من يهرون، ومنهم من يمشي، ومنهم من يزحف على بطنه، ومنهم من يسقط في نار جهنم^(١).

هذا كله يدل على تفاوت الناس بالإيمان، وبالتالي تفاوت بالإيمان تكون السرعة على الصراط، وعدمهها، أو وضعفها، ويكون سقوط بعضهم في النار كل ذلك دال على التفاوت.

وكذلك أحاديث الشفاعة، وهي أحاديث كثيرة منها: «أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال دينار من إيمان، - أو قال: من خير -، أخرجوا من كان في قلبه مثقال نصف دينار من إيمان، - أو قال: من خير -، أخرجوا من كان في قلبه مثقال نوحة من إيمان، - أو قال: من خير -، أخرجوا من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان، - أو قال: من خير -، أخرجوا من كان في قلبه مثقال برة من إيمان، - أو قال: من خير -، أخرجوا من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان، - أو قال: من خير -»^(٢). فهذا يدل على تفاوت أيضاً.

ومما يدل على تفاوت الإيمان: تفاوت المنازل في الجنة؛ وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(١) جزء من حديث طويل أخرجه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(٢) التخريج السابق نفسه.

«إن أهل الجنة ليتراءون أصحاب الغرف، كما تتراءون الكوكب الدرى الغابر فى الأفق الشرقي، أو الغربي، فقال الصحابة -رضوان الله عليهم-: تلك منازل الأنبياء لا ينالها غيرهم. فقال النبي ﷺ: بلـ، والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»^(١).

ومما يدل على ذاك أن هؤلاء الذين يخرجون من النار يخرجون وقد صاروا حُمّماً إلا مواضع السجود منهم، فإذا وضعوا على نهر الحياة نبتوا عليه، كما تنبت الحبة في حميـل السـيل، ثم إنـهم يختـمون بخواتـم في رقبـاهـم يـعـرـفـونـ بهاـ،ـأـنـهـمـ قدـ دـخـلـوـاـ النـارـ،ـ ويـقـالـ لـهـمـ الـجـهـنـمـيـوـنـ،ـ وـهـؤـلـاءـ يـصـيـبـوـنـ مـنـازـلـ مـتـدـنـيـةـ بـقـدـرـ ضـعـفـ أـعـمـالـهـمـ،ـ وـضـعـفـ إـيمـانـهـمـ.

فهذه الأدلة كلها تدل على تفاوت الناس بالإيمان وأن أهله يتفاوتون فيه تفاوتاً عظيماً، اللهم املأ قلوبنا إيماناً بك، وتوكلأ عليك وإخلاصاً لك، ونصحاً لعبادك. وبالله التوفيق.



* قوله: «وأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون، وأرواح أهل السعادة باقية ناعمة إلى يوم يبعثون وأرواح أهل الشقاوة معذبة إلى يوم الدين».

* الشرح:

هذا إـخـبارـ عنـ حـالـ النـاسـ فـأـهـلـ الشـقاـوـةـ يـعـذـبـونـ،ـ وـأـهـلـ السـعـادـةـ يـنـعـمـونـ،ـ وـقـدـ دـلـ عـلـىـ ذـلـكـ أـحـادـيـثـ كـثـيرـةـ،ـ وـمـنـهـاـ حـدـيـثـ سـمـرـةـ أـنـ النـبـيـ ﷺـ كـانـ

(١) أخرجه البخاري (٣٢٥٦)، ومسلم (٢٨٣١) من حديث أبي سعيد الخدري رض.

يقول للناس: «من رأى منكم رؤيا البارحة، وأنه ذات يوم قال: أتاني آتيا من ربِّي، فقالَ لي: انطلق فانطلقتنا فمررنا علىَ رجل مضطجع، ورجلٌ قائم علىَ رأسه بفهر، يبلغ رأسه به ثم يتدهده الحجر، فيذهب فیأخذه فلا يعود إلا وقد صح رأسه، فيبلغ به مرة أخرى فقلت: ما هذا؟ ف قالَ لي: انطلق انطلق، قال: فمررنا علىَ رجل مضطجع، ورجل يشرشر وجهه ومنخره، وشقه إلىَ قفاه، ثم يعود إلىَ الجانب الآخر فلا ينتهي إلىَ الجانب الآخر إلا وقد صح الأول، فقلت: ما هذا؟ ف قالَ: انطلق انطلق، قال: فانطلقتنا فإذا مثل التنور، فإذا فيه رجال ونساء عراة، وإذا يأتيهم لهبٌ من أسفل منهم، فإذا جاءهم اللهب ضُوْضُواً -يعني: صاحوا-... إلى آخر ما ذكر. وفي آخره أنهم قالوا له: إن الرجل الذي أتيت عليه يبلغ رأسه بفهر فيتددهد الحجر، فیأخذه، ثم يعود فيبلغ رأسه مرة أخرى فذاك رجل آتاه الله القرآن فرفضه، وكان ينام عن الصلاة المكتوبة، وأما الرجل الذي رأيته يشرشر وجهه فذاك رجل كان يخرج من بيته فيكذب الكذبة، يتحدث بها عنه في الآفاق.

وأما الذين رأيتهم في التنور رجال ونساء عراة فـ« يأتيهم لهب من أسفل منهم فأولئك هم الزناة والزوانى، وأما الرجل الذي رأيته يسبح في نهر من دم فذاك أكل الربا» إلى آخر ما ذكر من الحديث وهو في صحيح البخاري^(١).

ومما يدل على أن أهل البرزخ إن كانوا من أهل السعادة ينعمون، وإن كانوا من أهل الشقاوة يعذبون قول الله تعالى عن فرعون: ﴿النَّارُ يُعَرَّضُونَ عَلَيْهَا عَذَابًا عَذَابًا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَذْخِلُوا إِلَيْهَا فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]. والأخبار في ذلك موجودة في بطون الكتب دالة على ما ذكر، وهذا اعتقاد أهل السنة والجماعة.

(١) أخرجه البخاري (٤٧٠) من حديث سمرة بن جندب تَعَظِّيْهِ.

* قوله: «وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ وَيُسْأَلُونَ».

* الشرح:

كما قال تعالى: ﴿يُثِّبِّتُ اللَّهُ أَذْلِكَ، أَمْنُوا بِالْقَوْلِ الشَّافِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَقْعُلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

ومن هذه الأدلة على ذلك: حديث البراء بن عازب الطويل قال: «توفي رجل فحضرنا، وحضر النبي ﷺ، ولما يلحد قال: فجلس النبي ﷺ، وجلسنا حوله فقال النبي ﷺ: إذا كان العبد في إدبار من الدنيا، وإقبال على الآخرة، نزل عليه ملك الموت، فإن كان من أهل السعادة نزل ملائكة معهم حنوط من الجنة، وأكفان من الجنة، فجلسوا منه على مدّ البصر، فإذا مات الموت فيجلس عند رأسه، ويقول: أيتها الروح الطيبة اخرجني إلى روح وريحان، ورب غير غضبان، فتنسل روحه من جسده كما تنسل قطرة من في السقاء، فإذا أخذها جاءت تلك الملائكة فأخذوها منه، ولم يدعوها في يده طرفة عين...» وذكر الحديث «وأنهم يرجعون بروحه، وأنه تنبئ من روحه ريح طيبة كأطيب ما كانت، وأنه إذا كان كافراً أو منافقاً نزلت ملائكة سود الوجوه معهم مسوح من النار، وأكفان من النار...» وذكر الحديث.

وفيه: «أن العبد إذا وضع في قبره أتاه ملكان. فقالا له: من ربك؟ ما دينك؟ من هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فأما المؤمن فيثبته الله، فإذا قالوا: من ربك؟ قال: ربى الله، فإذا قالوا: ما دينك؟ قال: ديني الإسلام. فإذا قالوا له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ قال: هو محمد رسول الله، جاءنا بالبيانات والهدى، فآمنا به وصدقناه، فيفتح له باب إلى الجنة، فيقال له: هذا مجلسك من الجنة إذ كنت

مؤمناً، ثم يفتحان له باباً إلى النار فيقولان: كان هذا مجلسك من النار لو كفرت، فيقول: دعاني أبشر أهلي. فيقال له: نعم نومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحبابه إلهه إليه.

وأما الكافر، أو المنافق فإنه إذا قيل له: من ربك؟ قال: ها ها لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته، فإذا قيل له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ قال: ها ها لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته، فيضرب بمطرقة لو ضرب بها جبل لصار تراباً فيصبح صحيحة يسمعها كل من خلق الله إلا الجن والإنس»^(١).

* * * *

* قوله: «وَأَنَّ عَلَى الْعِبادِ حِفْظَةٍ يَكْتُبُونَ أَعْمَالَهُمْ، وَلَا يَسْقُطُ شَيْءٌ مِّنْ ذَلِكَ عَنْ عِلْمِ رَبِّهِمْ».

* الشرح:

الأدلة على أنَّ معنا حفظة يكتبون أعمالنا قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحْفَاظِينَ كِرَاماً كَيْسِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الأنفطار: ١٠-١٢].

وقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا إِلَّا نَسَنَ وَنَعْلَمُ مَا تُؤْسِمُ بِهِ نَفْسَهُ وَنَعْلَمُ أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ إِذْ يَنْلَمُ الْمُتَلَقِّيَانَ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَائِلِ قَيْدٌ﴾ [١٧] مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَيْنِدُهُ [ق: ١٦-١٨].

وفي الحديث الصحيح: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر، وصلاة العصر، ملائكة الليل، وملائكة النهار، فإذا

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٥٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٦٧٦).

صليت العصر عرج ملائكة النهار إلى رיהם ويقيت ملائكة الليل، فيقول الله - وهو أعلم - للذين عرجوا: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون...»^(١).



* قوله: «وأن خير القرون الذين رأوا رسول الله ﷺ وأمنوا به، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، وأفضل الصحابة الخلفاء الراشدون المهديون، أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي -رضي الله عنهم أجمعين-، وألا يذكر أحدٌ من صحابة رسول الله ﷺ إلا بأحسن ذكر والإمساك عما شجر بينهم، وأنهم أحق الناس أن يُلتمس لهم أحسن المخارج ويظن بهم أحسن المذاهب».

* الشرح:

ما قاله مؤلف العقيدة في هذا المقطع هو عقيدة أهل السنة والجماعة، يرون أفضل القرون القرن الذي بعث فيهم رسول الله ﷺ وأمنوا به، وصحبوه، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم لقوله ﷺ: «خير القرون قرني».

والقرون: اسم جنس، ووصف قرنه بالخيرية فيها دالٌ على أن أهل قرنه هم أفضل القرون السابقة واللاحقة، المتقدمة والمتأخرة.

فقد اختار الله لنبيه -صلوات الله وسلامه عليه- أفضل القرون، وبعثه فيهم لقوله ﷺ: «أفضل القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يأتي بعد ذلك أقوام يحلفون ولا يستحلفون، وينذرون ولا يوفون،

(١) أخرجه البخاري (٥٥٥)، ومسلم (٦٣٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ويظهر فيهم السّمّن»^(١).

وقد ورد هذا الحديث بألفاظ قريبة من هذا، وهو صحيح، إذن فالخيرية جعلت لقرنه، ثم القرن الذي يليه، ثم القرن الذي يليه، ونحن نحمد الله عَجَلَ أَنْ جعلنا من أهل دينه، وجعلنا ممن عرف الحق لأهله كما علمنا رسول الله عَلَيْهِ الْحَمْدُ لِلَّهِ أَنَّ الْإِلَهِيَّةَ لَا تَبْغِي إِلَّا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ فَسُوْىٰ، وَقَدْرَ فَهْدِيٍّ، وَهَذَا هُوَ التَّوْحِيدُ، وَأَنَّ الْمُتَابَعَةَ لَا تَبْغِي إِلَّا لِلنَّبِيِّ الْهَدِيِّ - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ - : ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تَجْبُونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُتَعَبِّدُكُمْ اللَّهُ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

وأن صاحبته - رضوان الله عليهم - هم الذين مثلوا الدين الحق بأفعالهم وواقعهم تطبيقاً للشريعة التي تلقواها منه عَلَيْهِ الْحَمْدُ، فلذلك ينبغي أن تكون على طريقتهم: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعُ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُوَلِّهُ مَا تَوَلَّ وَنُصْلِيهُ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

فاصحابه هم المؤمنون، وتوحيد الله عَجَلَ بالعبادة ومتابعة الرسول عَلَيْهِ الْحَمْدُ فيما شرع وعلم به أمته هو المفترض، وهو الذي يجب اتباعه، وقد قال - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ - في حديث الافتراق: «وَسْتَفْتَرَقُ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَىٰ: ثَلَاثٌ وَسَبْعِينَ أُمَّةً كُلُّهَا فِي النَّهَارِ إِلَّا وَاحِدَةٌ، وَلَمَّا سُئِلَ عَنِ الْوَاحِدَةِ قَالَ: هُمُ الَّذِينَ عَلَىٰ مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»^(٢).

وقال عَلَيْهِ الْحَمْدُ: «تَرَكْتُمْ عَلَىٰ بَيْضَاءَ، لِيَلْهَا كَنْهَارَهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا إِلَّا هَالِكَ»^(٣).

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٥) من حديث عمران بن حصين عَنْهُ.

(٢) أخرجه الترمذى (٢٦٤١) من حديث عبد الله بن عمرو عَنْهُ، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٣٤٣).

(٣) من تحريرجه (ص ٥٤).

أما أفضـل الصحـابة، فأفضـلهم وأفضـل الأمـة عـلى الإـطلاق: أبو بـكر رضـيـهـ، ثم عمرـ، ثم عـثمانـ، ثم عـليـ رضـيـ اللهـ عـنـهـمـ أـجـمـعـينـ، ثم السـتـةـ الـبـاقـونـ مـنـ الـعـشـرـةـ، ثم مـنـ هـاجـرـ الـهـجـرـتـينـ، ثم أـصـحـابـ بـدـرـ، ثم أـصـحـابـ الـحـديـبـيـةـ الـذـيـنـ بـاـيـعـواـ تـحـتـ الشـجـرـةـ، ثم مـنـ أـسـلـمـ وـقـاتـلـ قـبـلـ الـفـتـحـ، ثم مـنـ أـسـلـمـ وـقـاتـلـ بـعـدـ الـفـتـحـ، ثم صـغـارـ الصـحـابـةـ، ثم خـيـرـ الـأـمـةـ الـعـلـمـاءـ الـذـيـنـ حـمـلـوـاـ هـذـاـ الدـيـنـ إـلـيـنـاـ حـمـلـوـهـ مـنـ الصـحـابـةـ، وـأـتـيـاعـ الـأـتـيـاعـ حـمـلـوـهـ مـنـ الـأـتـيـاعـ وـهـكـذـاـ.

وعـقـيـدةـ أـهـلـ السـنـةـ وـالـجـمـاعـةـ أـنـ لـاـ يـذـكـرـ أـحـدـ مـنـ الصـحـابـةـ بـسـوءـ، وـأـنـ الـوـاجـبـ عـلـىـ الـمـسـلـمـيـنـ السـكـوتـ عـمـاـ شـجـرـ بـيـنـ أـصـحـابـ رـسـوـلـ اللهـ رـضـيـهـ وـلـهـذـاـ قـالـ قـائـلـهـمـ: وـمـاـ جـرـيـ بـيـنـ الـصـحـابـ نـسـكـتـ عـنـهـ وـأـجـرـ الـاجـتـهـادـ نـثـبـتـ

* * * *

* قوله: «والطاعة لأئمة المسلمين من ولادة أمورهم وعلمائهم، وأتباع السلف الصالحة واقتفاء آثارهم والاستغفار لهم».

* الشرح:

يقول المؤلف رحمه الله: «والطاعة لأئمة المسلمين من ولادة أمورهم وعلمائهم» هذه عقـيـدةـ أـهـلـ السـنـةـ وـالـجـمـاعـةـ؛ امـتـثالـاـ لـأـمـرـ اللهـ وـأـمـرـ رـسـوـلـهـ، وـالـهـ تـعـالـىـ أـمـرـ الـمـؤـمـنـيـنـ بـطـاعـتـهـ وـطـاعـةـ رـسـوـلـهـ، وـطـاعـةـ أـوـلـيـ الـأـمـرـ فـقـالـ -ـ جـلـ مـنـ قـائـلـ -ـ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ أَنْتُمْ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩].

فعـطـفـ الـأـمـرـ بـالـطـاعـةـ فـيـ حـقـ الرـسـوـلـ عـلـىـ حـقـ اللهـ، ثـمـ قـالـ: وـأـوـلـيـ الـأـمـرـ مـنـكـمـ، وـلـمـ يـكـرـرـ الـفـعـلـ؛ فـدـلـلـ ذـلـكـ عـلـىـ أـنـ طـاعـةـ وـلـادـةـ الـأـمـورـ دـاخـلـةـ فـيـ طـاعـةـ اللهـ وـطـاعـةـ رـسـوـلـهـ، فـهـمـ يـطـاعـونـ فـيـمـاـ أـمـرـ اللهـ بـهـ وـرـسـوـلـهـ، إـذـاـ أـمـرـوـاـ بـأـمـرـ اللهـ، وـنـهـوـاـ عـمـاـ

نهى الله عنه، فإن أمروا بخلاف ذلك فلا طاعة لهم في المعصية.
وقد قال النبي ﷺ: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»^(١).

وقال - صلوات الله وسلامه عليه -: «إنما الطاعة في المعروف»^(٢). فحصر الطاعة في المعروف، ومفهوم هذا أنهم إن أمروا بغير المعروف لم يطاعوا فيه.
وقد وردت في السنة أحاديث كثيرة توجب بل تختتم طاعة ولاة الأمر علماً بأن ولاة الأمر يفسر بولاة الأمر الذين هم أصحاب الولاية، ويفسر بالعلماء، وهؤلاء تجب طاعتهم كما قلنا، فولادة الأمر تجب طاعتهم فيما أمروا به مما يتعلق بالولاية ما لم يكن معصية لله.

والعلماء تجب طاعتهم فيما أفتوا به، وأخبروا به من أحكام الشرع؛ إذ إنهم العارفون بذلك، والعالمون به، والممارسون له، وقد قال ﷺ: «وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَنْفَقُهُوا فِي الدِّينِ وَلَيُنَذِّرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَذَرُونَكُمْ» [التوبه: ١٢٢].

والله ﷺ يقول: «فَنَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» [النحل: ٤٣]. وذم أولئك النفر الذين كان معهم رجل في السرية، أصابته شجة فاحتلم، فقال لهم: هل تجدون لي رخصة أن أتيمم؟ قالوا: لا. فاغتسل فمات. وقد جاء في الحديث على فرض صحته أن النبي ﷺ قال: «قتلوه قتلهم الله، هلاً سألو إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا، فَإِنَّمَا شفاء العي السؤال...»^(٣).

(١) أخرجه البغوي في شرح السنة (٤٤/١٠)، من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه، وصححه الألباني في تخريج المشكاة (٣٦٩٦).

(٢) أخرجه البخاري (٧٢٥٧)، ومسلم (١٨٤٠) من حديث علي رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أبو داود (٣٣٦)، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٣٦٢).

وفي هذه الآيات والأحاديث دليل على وجوب الرجوع إلى أهل العلم في المسائل الدينية والأخذ بقولهم فيما أفتوا به.

والأحاديث الدالة على وجوب طاعة ولاة الأمر في الصحيحين، وفي أحدهما، وفي السنن الأربع، ومسند أحمد، وغير ذلك، فمنها حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: «أمرني خليلي أن أسمع وأطيع، وإن كان عبداً حبشياً، كان رأسه زيبة»^(١).

ومنها: حديث عبادة بن الصامت قال: «دعانا رسول الله صلوات الله عليه وسلم فبايعناه على السمع والطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وعلى أثره علينا، وألا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحراً معكم من الله فيه برهان»^(٢).

ومنها: حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «من كره من أمير، شيئاً فليصبر عليه فإنه من خرج من السلطان قيد شبر، فمات إلا مات ميتة جاهلية»^(٣).

ومنها: حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «من أتاكم وأمركم جميع على رجال واحد يريد أن يشق عصاكم ويفرق كلمتكم، فاضربوه بالسيف كائناً من كان»^(٤).

(١) أخرجه البخاري (٦٩٣) من حديث أنس رضي الله عنه، عن النبي صلوات الله عليه وسلم قال: «اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل حبشي كان رأسه زيبة».

وأخرج مسلم (١٨٣٧) من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: «إن خليلي أو صاني أن أسمع وأطيع، وإن كان عبداً مجده الأطراف».

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٥٦)، ومسلم (١٧٠٩).

(٣) أخرجه البخاري (٧٠٥٣)، ومسلم (١٨٤٩).

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب: حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع (١٤٨٠ / ٣) (ح ٦٠) (١٨٥٢)، من حديث عرفجة رضي الله عنه، وقول الشيخ: من حديث أبي سعيد. لعله سبق لسان. قلت: هو في صحيح مسلم، باب: إذا بُويع لخليفتين بلفظ: «إذا بُويع لخليفتين فاقتلو الآخر منهم». رقم الحديث (١٨٥٣). [النجمي].

وفي هذا المعنى حديث عرفجة الكلابي.

وفي حديث أبي هريرة مرفوعاً بلفظ: «من خرج من الطاعة وفارق الجماعة مات ميتة جاهلية»^(١).

وله حديث آخر بلفظ: «ستكون خلفاء فتكثرون. قالوا: فما تأمرنا؟ قال: فوا ببيعة الأول فال الأول»^(٢).

ومنها: حديث عبد الله بن عمر، أنه جاء إلى عبد الله بن مطع يوم الحرة، فقال عبد الله ضعوا للشيخ وسادة. فقال عبد الله بن عمر: إني لم آتِ لأجلس، وإنما أتيت لأنك أخبرك أن النبي ﷺ قال: «من فارق الجماعة لقي الله، ولا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»^(٣).

وفي حديث عبد الله بن عمرو الطويل: «من بايع إماماً فأعطاه صفة يده وثمرة فؤاده فليطعه إن استطاع، فإن جاء آخر ينazuه فاضربوا عنقه الآخر كائناً من كان»^(٤).

ومنها: حديث عوف بن مالك الأشعري: «خيار أئمتكم الذين يحبونكم وتحبونهم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين يبغضونكم، وتبغضونهم، وتلعنونهم ويلعنونكم. قالوا: أفلأ نقاتلهم؟ قال: لا ما أقاموا فيكم الصلاة»^(٥). وحديث عن أم سلمة إلى غير ذلك من الأحاديث، علماً بأن هذه الأحاديث التي ذكرتها بعضها في الصحيحين، وبعضها في مسلم.

(١) أخرجه مسلم (١٨٤٨).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٤٢).

(٣) أخرجه مسلم (١٨٥١).

(٤) أخرجه مسلم (١٨٤٤).

(٥) أخرجه مسلم (١٨٥٥).

فهذه الأحاديث وأمثالها توجب على كل مسلم السمع والطاعة لولاة الأمور سواء كانوا مطيعين أو عصاة، ببرة أو فجراً، فلا يجوز الخروج عليهم، ولا يجوز منازعتهم؛ بل الواجب السمع والطاعة لهم.

ثم إن طاعتهم طاعة لله تعالى، ولرسوله ﷺ؛ قال ﷺ: «من أطاع أميري فقد أطاعني، ومن أطاعني فقد أطاع الله»^(١).

وفي رواية: «من أطاع الأمير»^(٢)، وهذه الرواية فائدتها أن هذه في الأمراء عامة، وليس ذلك خاصاً بالأمير الذي يؤمره النبي ﷺ، فهذه عقيدة أهل السنة والجماعة؛ بل ورد في حديث حذيفة بن اليمان: «اسمع وأطع للأمير، وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك»^(٣).

ومن قبح هذه الزيادة، وأراد أن يتعلل بذلك للتوصل للخروج على ولاة الأمر، فإنه ضالٌّ مضلٌّ؛ إذ إن هذه الزيادة إن ضعفت، فقد أفاد مفادها جميع الأحاديث التي سبق ذكرها؛ لذلك فإن هذه العقيدة هي عقيدة المسلمين، عقيدة أهل السنة والجماعة، ومن زعم أن الإمام إن فسق أو عصى يجوز الخروج عليه، فإن زعمه هذا باطل ترده هذه الأحاديث التي سبرناها، وهذا القول -قول من قال بجواز الخروج على الإمام الفاسق- قول ضعيف لبعض المخالفين للسنة -عفا الله عنا وعنهم-.



(١) أخرجه البخاري (٢٩٥٧)، ومسلم (١٨٣٥).

(٢) التخريج السابق نفسه.

(٣) أخرجه مسلم (١٨٤٧).

* قوله: «وَاتِّبَاعُ السَّلْفِ الصَّالِحِ وَاقْتِفَاءُ آثَارِهِمْ، وَالاسْتَغْفَارُ لَهُمْ».

* الشرح:

ما قاله رَحْمَةُ اللَّهِ واجب على المسلمين، فالله تَعَالَى قال في سورة الحشر: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوْ مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُوْنَ رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا وَإِلَّا خَوْنَا الَّذِينَ سَبَقُوْنَا بِالْإِيمَانِ وَلَا يَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلَّا لِلَّذِينَ أَمْتَوْا رَبَّنَا إِنَّكَ رَبُّ الْحَمْدِ﴾ [الحشر: ١٠].

وقال تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُشَافِقِ الرَّسُوْلَ مِنْ بَعْدِ مَا ثَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعَ عَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِيْنَ فُوْلَهُ مَا تَوَلَّ وَنُصَلِّهُ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

فاتتابع سبيل المؤمنين واجب على من بعدهم، والمؤمنون هم أصحاب رسول الله ومن كان بعدهم على عقيلتهم، وسار سيرهم، أما من أخذ غير سبيل المؤمنين فإنه قد اتَّخَذ سبيلاً غريباً ويعيدها عما وضعه رسول الله تَعَالَى لأمته، وقد قال النبي تَعَالَى: «تركتكم على بيضاء ليتها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك»^(١).

فأخبر أن الهلكة في الزوغان منها، أي: عن طريقته التي رسمها لأمته، وعاش عليها أصحابه، ومن بعدهم من أهل العلم الذين حملوا شريعته تَعَالَى من كتاب وسنة، وفي حديث الافتراق قال النبي تَعَالَى: «وَسَتُفْتَرَقُ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَىٰ ثَلَاثَ وَسَبْعِينَ فَرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةٌ». قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: هم الذين على مثل ما أنا عليه وأصحابي»^(٢).

وعن بعض السلف أنه قال: «اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتكم»^(٣).

(١) مِنْ تَخْرِيجِهِ (ص ٥٤).

(٢) مِنْ تَخْرِيجِهِ (ص ٨٢).

(٣) أَخْرَجَهُ الدَّارْمِيُّ (٢٠٥) مِنْ قَوْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْعُودٍ تَعَالَى عَنْهُ.

وختتم مؤلف هذه العقيدة كتابه، أو بالأحرى عقيدته بهذه الجملة:

* «وترك المرأة والجدال في الدين، وترك كل ما أحدثه المحدثون».

* الشرح:

فالجدال منهي عنه وبالأخص الجدال في القرآن، والجدال في الآثار التي جاءت عن النبي ﷺ، مما جاء في القرآن يجب أن نؤمن به ونتبعه، وما صح من السنة كذلك يجب أن نؤمن به ونتبعه، إذ هما المصادران اللذان قرر الله بهما شريعة عبده ونبيه محمد ﷺ، فالقرآن هو أصل التشريع، والسنة مبيّنة ومفسرة له، قال تعالى:

﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْذِكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

* * * *

* قوله: «وترك ما أحدثه المحدثون».

أي: أن الواجب على كل طالب علم، بل على كل مسلم: أن يتبع الآثار الثابتة عن النبي ﷺ وعن السلف الصالح التي ثبتت من أقوالهم وأفعالهم إذ إنهم مثلوا الشريعة، وترجموها ترجمةً واقعية، لذلك يجب أن نترك المحدثات، وأن نتبع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وعلى فهم السلف الصالح، وننبرأ من كل ما خالف ذلك. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأزواجه وذراته وسلم تسليماً كثيراً. وأقول رحم الله المؤلف لقد نصح وبلغ وعلم وبين، وإن الواجب متابعته على ذلك؛ لأن ذلك هو الحق فيما نعتقده -وبالله تعالى التوفيق- .

* * * *

الفَهْرِسُ

فهرس الموضوعات

٥	ترجمة مختصرة لابن أبي زيد القيروانى
٨	نص مقدمة مؤلف الرسالة رَحْمَةُ اللَّهِ
١٤	نظم مقدمة الرسالة للشيخ أحمد بن مشرف الأحسائي المالكي
٢٠	شرح مقدمة مؤلف الرسالة
٢٩	قوله: «باب: ما تنطق به الألسنة وتعتقده الأفئدة»
٣٠	قوله: «لا شبيه له، ولا نظير له، ولا ولد له»
٣٠	قوله: «ليس لأوليته ابتداء، ولا لآخريته انقضاء»
٣١	قوله: «ولا يبلغ كنه صفتة الواصفون، ولا يحيط بأمره المتفکرون»
٣٢	قوله: «العالِمُ الْخَيْرُ الْمَدِيرُ الْقَدِيرُ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ»
٣٣	قوله: «وأنه فوق عرشه المجيد بذاته وهو في كل مكان بعلمه»
٣٤	قوله: «خَلَقَ الْإِنْسَانَ وَيَعْلَمُ مَا تَوَسُّسُ بِهِ نَفْسُهُ»
٣٤	قوله: «عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى، وَعَلَى الْمَلْكِ احْتَوَى»
٣٦	قوله: «وَلِهِ الْأَسْمَاءُ الْحَسَنَى»
٣٧	قوله: «وَالصَّفَاتُ الْعَلَا»
٣٨	قوله: «لَمْ يَزِلْ بِجَمِيعِ صَفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ»

- قوله: «كلم الله موسى بكلامه الذي هو صفة ذاته...» ٣٩
- قوله: «وتجلی للجبل فصار دگاً من جلاله» ٤١
- قوله: «والإيمان بالقدر خيره وشره حلوه ومره» ٤٢
- قوله: «علم كل شيء قبل كونه فجرى على قدره» ٤٦
- قوله: «يضل من يشاء فيخذله بعده ويهدي من يشاء فيوفقه بفضله» ٤٨
- قوله: «تعالى الله أَن يكون في مُلْكِه مَا لَا يُرِيدُ» ٥٠
- قوله: «أو يكون خالق لشيء إلا هو رب العباد ورب أعمالهم» ٥٠
- قوله: «ثم ختم الرسالة والندارة والنبوة بـمحمد نبیه ﷺ» ٥١
- قوله: «وأنزل عليه كتابه الحكيم، وشرح به دينه القويم» ٥٣
- قوله: «وأن الساعة آتية لا ريب فيها، كما أخبر الله» ٥٥
- قوله: «وأن الله سبحانه ضاعف لعباده المؤمنين الحسنات» ٥٧
- قوله: «ومن عاقبه بناره أخرجها منها بإيمانه فأدخله به جنته...» ٥٨
- قوله: «وأن الله سبحانه قد خلق الجنة فأعدها دار خلود لأوليائه...» ٦٠
- قوله: «وأكرمهم فيها بالنظر إلى وجهه الكريم » ٦١
- قوله: «وهي التي أهبط منها آدم نبیه وخلفيته إلى أرضه» ٦٢
- قوله: «وخلق النار، وأعدها دار خلود لمن كفر به وألحد...» ٦٣
- قوله: «وأن الله يجيء يوم القيمة والملك صفاً صفاً» ٦٥
- قوله: «...الأعمال توزن...» ٦٧
- قوله: «وأن الصراط حق يجوزه العباد بقدر أعمالهم» ٦٨
- قوله: «والإيمان بحوض رسول الله ﷺ ترده أمتُه» ٧٠

قوله: «وأن الإيمان قول باللسان، وإخلاص بالقلب، وعمل بالجوارح...» ...	٧٢
قوله: « وأنه لا يكفر أحد بذنب من أهل القبلة» قوله: « وأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون، وأرواح أهل السعادة باقية» قوله: « وأن المؤمنين يفتنتون في قبورهم ويسألون» قوله: « وأن على العباد حفظة يكتبون أعمالهم» قوله: « وأن خير القرون الذين رأوا رسول الله ﷺ وأمنوا به...» قوله: « والطاعة لأئمة المسلمين من ولاة أمورهم وعلمائهم» قوله: « واتباع السلف الصالح واقتفاء آثارهم» قوله: « ترك المراء والجدال في الدين، وترك كل ما أحدثه المحدثون» الفهرس ٩٣	٧٤ ٧٧ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٣ ٨٨ ٨٩



نَاسِبُهُمْ مِنَ الْحَكَمَاتِ
عَلَى مَا صَحَّ عَنْ حِسْنِ دِرَانَامِ
بِشَرْحِ أَحَادِيثِ عُمَدةِ الْأَحْكَامِ

تَالِيفُ
فَضِيلَةِ الشَّيْخِ الْعَلَامَةِ
أَمْرَدْ بْنِ حَمِيِّ التَّجْمِيِّ

عَلَى الْجُزْءِ الْأَوَّلِ الْإِمَامِ الْعَلَامَةِ الْمُجَدَّدِ
مُحَمَّدِ نَاصِرِ الدِّينِ الْأَلبَانِيِّ

الْكِتابُ
الْمُنْهَجُ

شرح عقيدة ابن أبي زيد القيرواني



الإدارة: ١٧ ش صعب صالح - عين شمس - القاهرة

جوال: ٠١٨٨٨٨٤٠٧٨ - ٠١٨٨٨٨٤٠٨١

المكتبة: ١٨ ش الهدي الحمدي - أحمد عرابي - عين شمس

E-mail:daralmenhaj@hotmail.com

E-mail:daralminhaj@yahoo.com